# إيناس المهتدي

## في فراق أهله وأصحابه وتسلية مصابه

تأليف/ خالد بن أحمد الزهراني

## الإهداء

إلى الصابرين الأخيار...

إلى الصفوة الأبرار...

إلى السائرين إلى الله في حالك الظلمات...

إلى القابضين على الجمر والقابضات...

إلى طلاب الحق...

إلى المستأنسين بالله حين هجرهم الخلق...

إلى الراجين من ربهم عوض الجزاء بالصبر على البلاء...

إلى كل مهتدي للحق والصواب...

**أهدي هذا الكتاب**

# إضاءة

قال تعالى: ((وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ)) [البقرة:١٥٥-١٥٧].

وقال تعالى: ((وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ)) [فصلت:٣٥].

*　　*　　*

## مقدمة

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

**أما بعد:**

فقد **بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء**[١]، هكذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه الذين اتبعوه وصدقوه فيما جاء به من الحق حين كذبه الناس، ونصروه وأيدوه حين خذله الناس، فنالوا من عدوهم لذلك أشد أنواع العذاب والنكال، فوصف النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين في تلك الحقبة من الزمن بأنهم غرباء، وهذا وصف دقيق يبين مدى الشدة والمعاناة التي كان يعيشها أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في تلك الحقبة، لقد كانوا فعلاً كالغريب الذي ابتعد عن وطنه وسافر عن أهله وترك موطن صباه ولهوه ولعبه، وذهب إلى بلد لا أهل فيه يسعد بهم، ولا مال له يستعين به، ولا صديق يبثه همومه، ولا قريب يقوي جانبه.

وهكذا عاش أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم في تلك الفترة، فقد كانوا غرباء ولكن بين أهليهم وفي أوطانهم، وهذا أشد ما تكون فيه الغربة، فقد تركهم القريب والبعيد، وتعرضوا للمضايقة والتعذيب بأنواع العذاب والنكال الأليم، والنبي صلى الله عليه وسلم كان له النصيب الأوفر والحظ الأكبر من ذلك البلاء والأذى الذي كان ينزل بهم على يد أعدائهم، ولكن مع ذلك كله كانوا صابرين مصابرين، تحثهم على ذلك بشارات النبي صلى الله عليه وسلم لهم بنصر هذا الدين وعز أهله وبلوغه ما بلغ الليل والنهار، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم جالساً عند الكعبة متوسداً رداءه، فجاءه أصحابه يشكون إليه

---

(١) رواه مسلم (١٤٥).

ما يجدون من المشركين، ويقولون له: يا رسول الله! ألا تدعو لنا؟ ألا تستنصر لنا؟ فقال لهم: (لقد كان من كان قبلكم يؤتى بالرجل فيشق بالمنشار نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه لا يصده ذلك عن دين الله، والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم قوم تستعجلون)(٢).

وبمثل هذه البشارات كان الصحابة لا يبالون بعد ذلك بما أصابهم في سبيل الله، بل كانوا يتلذذون بكل بلاء ينزل بهم وأذى يقع عليهم، ما دام ذلك في الله ومن أجل دين الله، فيقول قائلهم(٣):

**ولست أبالي حين أقتل مسلما ... على أي شق كان في الله مصرعي**

**وذلك في ذات الإله وإن يشأ ... يبارك على أوصال شلو ممزع**

وبعد صبرهم الطويل وتضحيتهم الجسمية في سبيل الله أتاهم نصر الله تعالى، فانتصروا بعد هزيمة، وعزوا بعد ذل، وكثروا بعد قلة، وتقووا بعد ضعف، وغنوا بعد فقر، وهذا هو ما وعدهم الله تعالى به في قوله: ((وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)) [النور:٥٥]، وامتن عليهم به في قوله: ((وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)) [الأنفال:٢٦]، وهذه هي عاقبة كل من احتمل الأذى في سبيل الله وصبر على ذلك، وهي التمكين والاستخلاف في الأرض، ثم يوم القيامة يجازون بالنعيم المقيم في دار الخلود في جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين ((وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ)) [فصلت:٣٥].

---

(٢) رواه البخاري (٣٦١٢).

(٣) رواه البخاري من قول خبيب بن عدي رضي الله عنه (٣٠٤٥).

وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أنه ستكون غربة بعد تلك الغربة الأولى التي مر بها أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، فذكر أنه ستكون في آخر الزمان غربة كالغربة الأولى، وسوف يصطلي بنارها ويتجرع غصصها المؤمنون الموحدون المتقون، المتمسكون بالدين الحق الذي لن يقبل الله من أحد ديناً سواه.

وفي هذا الزمن الذي نعيشه بدأت بوادر الغربة تلوح بوجهها الكالح مؤذنة بعودة الغربة السابقة كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك، وهذا علم من أعلام النبوة التي تدل على صدق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، قال عليه الصلاة والسلام: (**بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ**)(٤).

فالمؤمن المتمسك بدينه المتبع لكتاب ربه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم التارك لما عليه أهله ومجتمعه من البدع والضلالات يعيش في غربة بين أهله ووطنه، وكأنه لا أهل له ولا وطن.

وأشد من ذلك غربة ذلك الرجل الشجاع القوي الذي عاش في بيئة نشأت على البدع والضلالات، وتربت على الخرافات والانحرافات، حتى اقتنعت بما لا يدع مجالاً للشك بأن تلك الضلالات هي دين الله الذي يجب أن يدين له به الناس أجمعون، وأنها شرعه الذي يجب أن يتحاكم إليه البشر كلهم، وأن غيرهم من أصحاب الدين الحق على ضلال وتنكب عن الصراط المستقيم.

ولكن ذلك الرجل الذي نشأ بينهم وتربى في أحضانهم وارتضع أفكارهم وعقائدهم لم يرق له ما رآه منهم، ولم يعجبه صنيعهم، ولم يرضه ما هم عليه من دين واعتقاد، فبدأ يترك طقوسهم ويستنكر عقائدهم ويتبرم من أعمالهم، ثم ذهب يبحث عن الدين الحق الذي يجب أن يكون هو وحده الدين الذي يعبد الله سبحانه وتعالى به، وبعد بحث طويل وتفكير عميق يشرح الله تعالى صدره، ويهدي قلبه، فيعلن استمساكه بكتاب ربه وسنة نبيه وتركه لما عليه أهله وقومه، ومن هنا تأتي المحن والابتلاءات، وتنزل المصائب والكربات، فيعيش غريباً بين

---

(٤) رواه مسلم (١٤٥).

أهله وقومه وعشيرته وأحبابه، وفي بلده وموطنه، وحقاً إن هذه الغربة لهي أشد من غربة المسافر عن أهله ووطنه، وصدق القائل[٥]:

**وظلم ذوي القربى أشد مضاضة على النفس من وقع الحسام المهند**

فإلى هؤلاء الغرباء في زمن الغربة نقول: تأسوا بمن قبلكم، واقتفوا خطا من سبقكم؛ فإن هذا طريق طويل لستم فيه وحدكم، بل قد سبقكم كثير ممن ابتلوا بأشد مما ابتليتم به، وسيأتي بعدكم من سيبتلى بأشد من ذلك وأنكى، فكما صبر السابقون فاصبروا، وسوف ينالكم مثل ما نالهم من موعود الله تعالى بالنصر والتمكين؛ فإن هذه سنة الله تعالى في خلقه لا تتبدل ولا تتحول، قال تعالى: ((وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)) [النور:٥٥].

ولا يفوتني شكر أخي الأديب الأريب/ عبد الكريم الحربي، الأمين العام لمبرة الآل والأصحاب بالكويت، والذي اختار اسم الكتاب، وفقه الله وسدد خطاه.

والله يتولانا وإياكم.

**وكتبه/**

**خالد بن أحمد الزهراني**

**٠٥٠٥٨٤٨٩٨٨**

**kzahrany@hotmail.com**

(٥) ديوان طرفة بن العبد (٨/١).

# توطئة

إن أجلّ نعمة ينعم الله تعالى بها على العبد هي نعمة الهداية إلى الحق الذي يرتضيه سبحانه وتعالى؛ وذلك لأن العبد يدرك بها قيمته في الوجود، وينقذ نفسه من آلام الدنيا وويلات الآخرة، كيف لا وقلبه قد فاض بمعرفة ربه وخالقه، فهو يرى فضله سبحانه وتعالى عليه في سمعه وبصره وبدنه وعافيته وكل صغيرة وكبيرة أنعم بها عليه، أفبعد هذا تضيق به الدنيا؟!

أو بعد هذا يبتغي راحة وأنساً بغير مولاه عز وجل؟!

كلا. فلقد وجد في قلبه حلاوة الهداية التي أورثته أنساً بربه ولذة مناجاة لخالقه ورضاً بما قدره له مولاه، وغير ذلك من أنواع الألطاف والتكريم التي لو أدركها الملوك وأبناء الملوك لجلدوه ولقاتلوه عليها بالسيوف طعماً في حيازتها.

وإن نعمة الهداية لا تقف عند هذا الحد؛ فإن ما ذكر هو بعض جزائها وأقله، أما مقصودها الأكبر فهو التكريم على رؤوس الأشهاد بين يدي الله تبارك وتعالى يوم الفزع الأكبر، فيحوز المهتدي رضوان ربه تبارك وتعالى عنه، فيأمن بعد خوف، ويسر بعد حزن، ويضحك بعد بكاء، وينعم بعد بؤس، ويتمتع بعد حرمان، ويلبس الحُلل ويسكن الظلل، ويتوج بتاج الكرامة المختوم بختم ((سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ)) [الرعد:٢٤].

فلما كانت الهداية بهذا المقدار كان ثمنها غالياً، إذ لابد معها من بلاء وفتن ومحن على قدرها في قلب المهتدي، ليعلم الله تعالى بذلك الذين صدقوا ويعلم الكاذبين.

ولما كانت النفوس بطبعها تخلد إلى الراحة ويصعب عليها البذل في سبيل الهداية حجب أكثر الخلق عن سلوك طريق الهداية، وسلكوا مسالك الغواية، وصدق الله تعالى حين قال: ((وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ)) [يوسف:١٠٣].

وبين أيدينا نماذج من أحوال الأنبياء حاملي مشاعل الهداية مع أقوامهم ممن نشأ على الكفر، فالنبي يحمل الرحمة لهم بين جنبيه ولا يجد منهم إلا الإصرار على الكفر والشقاء، وكان الإنسان ظلوماً جهولاً.

فيا من وفق للهداية وسلك الله تعالى به مسلك أوليائه من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين! اعلم أن منّة الله عليك كبيرة لن تقوم بحقها -والله- حتى ولو بذلت روحك لله، فما تقدمه لربك عز وجل من عمل لن تبلغ به شكر هذه النعمة مهما بلغ.

ولو لم يكن من تفضله عليك إلا أنه خصك بها وحجبها عن غيرك لكفى.

فاحمد الله تعالى على فضله عليك، وسله العفو والعافية ومغفرة التقصير، واصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين.

* * *

## حال الناشئين في الكفر مع أنبيائهم

واجه الأنبياء معارضة شديدة من أقوامهم الذين تتابع آباؤهم وأجدادهم على الكفر، ولم يعرفوا التوحيد من آماد متطاولة، وأصروا على الكفر والجحود، وكان هذا العناد الشديد ديدنهم، قال تعالى: ((كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ)) [المؤمنون:٤٤]، وقال تعالى: ((تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ * وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ)) [الأعراف:١٠١-١٠٢]، وقال تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ((وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِهَا)) [الأنعام:٢٥].

وقال تعالى: ((لا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا)) [الأعراف:١٤٦].

وقد ذكر عز وجل حال من اهتدى وحال من تعلق بالظلمات الكفرية التي نشأ عليها فقال: ((أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)) [الأنعام:١٢٢]، وقال: ((فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ)) [الأنعام:١٢٥].

وقد لبث نوح عليه السلام في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم إلى الله سراً وجهراً، وبكل الوسائل الممكنة، فما كان جوابهم إلا الإعراض والتكذيب، قال عز وجل: ((إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * قَالَ يَاقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ * أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ * يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ)) [نوح:١-٤] إلى آخر الآيات.

وواجه نوحاً قومه بقولهم له: ((إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ)) [الأعراف:٦٠]، وقولهم: ((مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ)) [القمر:٩]، وقولهم: ((إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ)) [المؤمنون:٢٥]، فما

كان جوابه إلا أن يقول: ((قَالَ يَاقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ * أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)) [الأعراف:٦١-٦٣].

وبمثل ذلك واجه قوم عاد هوداً، قال تعالى عنهم: ((قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ)) [الأعراف:٦٦]، فكان جوابه مثل جواب أخيه نوح: ((قَالَ يَاقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ)) [الأعراف:٦٧-٦٨].

وقد صدر الاتهام للأنبياء والمصلحين بالجنون وسفه الرأي وبالسحر من كل المعرضين عن الهدى والحق، قال تعالى: ((كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ)) [الذاريات:٥٢] ((أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ)) [الذاريات:٥٣]، وقال تعالى: ((بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ * وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ)) [الزخرف:٣٠]، وقوله: ((وَقَالُوا يَاأَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ)) [الحجر:٦].

وكما تمسك قوم نوح بعبادة ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر مما كان يعبد آباؤهم كذلك فعلت عاد، وقالوا لنبي الله هود عليه السلام: ((قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا)) [الأعراف:٧٠]، وهذه الحجة كأنما تواصى بها كل المكذبين والمعرضين عن هدي المرسلين، قال تعالى: ((وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ)) [الزخرف:٢٣]، وقوله: ((وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلاغُ الْمُبِينُ)) [النحل:٣٥].

وقالت ثمود لنبي الله صالح عليه السلام: ((يَاصَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا)) [هود:٦٢]، وقالت مدين لنبي الله شعيب: ((قَالُوا يَاشُعَيْبُ أَصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ)) [هود:٨٧]، وقالوا

له بنبرة استهزاء: ((إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ)) [هود:٨٧].

وقال فرعون وملؤه لموسى: ((أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا)) [يونس:٧٨].

وكان جميع المكذبين يحتجون على عدم استجابتهم للرسل بأنهم بشر، كما في قوله تعالى عنهم: ((مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَراً مِثْلَنَا)) [هود: ٢٧]، وقوله: ((قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا)) [إبراهيم: ١٠]، وقوله: ((وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا)) [الإسراء:٩٤].

وقد ذكر الله سبحانه كيف كان رد فعل الكفار تجاه القرآن مع أن الله تعالى قال فيه: ((وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ * حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ)) [القمر:٥]، فهم ما بين معرض عن سماع القرآن ومحذر من مجرد الاستماع، كما قال تعالى عنهم: ((لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ)) [فصلت:٢٦])) [فصلت: ٢٦]، وبين من يسمع القرآن لكنه لا يفقه منه شيئاً، قد سدت عنه منافذ معرفة الحق بالغفلة المطبقة، قال تعالى: ((وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ)) [الأعراف:١٧٩]، وقال تعالى: ((وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لا يَعْقِلُونَ)) [يونس:٤٢]، وقال: ((إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ)) [الكهف:٥٧]، وقال: ((وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا)) [لقمان:٧]، وقال: ((وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى)) [فصلت:٤٤]، وقال تعالى: ((وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا)) [الإسراء:٤١]، وقال: ((وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا)) [الإسراء:٨٩] وقال عز وجل: ((وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا)) [الكهف:٥٤]، وقال: ((وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا * وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا)) [الإسراء:٤٦]، وقال: ((وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ

بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا)) [الحج:٧٢]، وقال تعالى: ((وَقَالَ الرَّسُولُ يَارَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا)) [الفرقان:٣٠]، وقال تعالى: ((وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا)) [الإسراء:٦٠]، وقال تعالى: ((وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا)) [الإسراء:٨٢].

ويظن أكثرهم أنه على الحق والهدى وأنه يحسن صنعاً ((قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا * أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا * ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا)) [الكهف:١٠٥-١٠٦]، وغرهم إمهال الله تعالى لهم، وهو عقوبة منه لهم بسبب شدة كفرهم وطغيانهم ((إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا * وَأَكِيدُ كَيْدًا)) [الطارق:١٦].

فإذا كان يوم القيامة حصل ما ذكر الله عز وجل عنهم بقوله: ((وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ)) [الزمر:٤٧]، وقال: ((قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا)) [مريم:٧٥].

## أصناف أهل الكفر والضلال من حيث العلم والعمل

من خلال ما سردنا من الآيات عن قصص الأنبياء مع أقوامهم يتبين لنا أن العقلية الجمعية للأقوام ظلت متمسكة بموروثها العقدي، معرضة تماماً عن مجرد السماع لرسالة الأنبياء.

وقد دخل تحت هذه العقلية الجمعية كذلك عوام المجتمع ورعاعه، وهم على كل حال يتبعون ما تعارف عليه المجتمع، فما كان في العرف صواباً وعليه ملؤهم وقادتهم فهو الصواب، وما كان خطأً في العرف وعلى ألسنة البارزين والزعماء وتردد في وسائل الإعلام خطؤه فهو الخطأ.

ولكن الناظر في أحوالهم يمكن أن يصنفهم إلى ثلاثة أصناف:

**الصنف الأول:** من فقدوا العلم والعمل، وذلك لأنهم قوم عدموا معرفة الحق وغلب عليهم الجهل، وفقدوا بما أركسوا فيه من الباطل الفطرة التي تميز الحق من الباطل، وانحط بهم خور العزائم وضعف الإرادة حتى أعرضوا عن الحق كلية، وانشغلوا عنه بالشهوات والملذات ومتاع الحياة الدنيا، قال تعالى: ((اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ * مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ * لاهِيَةً قُلُوبُهُمْ)) [الأنبياء:١-٣]، فهؤلاء فسدت معارفهم وإرادتهم، يقول ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ((إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ)) [النحل:١٠٤] يقول: (يخبر تعالى أنَّه لا يهدي من أعرض عن ذكره وتغافل عما أنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم و لم يكن له قصد إلى الإيمان بما جاء من عند الله، فهذا الجنس من الناس لا يهديهم الله إلى الإيمان بآياته وما أرسل به رسله)[٦].

ومنهم قوم تلبسوا بباطل نشئوا عليه وتربوا فيه، فألفوه واستحكم في نفوسهم وقلوبهم، فلما عُرض عليهم الحق نفروا منه نفرة الحمر المستنفرة التي فرت من قسورة؛ لأنهم أحسوا بضعف ما لديهم من الباطل أمام قوته، فرفضوا أن يفتحوا قلوبهم للنور الوافد،

(٦) تفسير ابن كثير (٢/٧٧٥).

وعطلوا عقولهم، وحكموا أهواءهم، وكان بقاؤهم على ما هم عليه ولو كان باطلاً أحب إليهم من الحق والهدى والنور، ثم بنوا حياتهم ومنهجوها وفق ما اختار لهم هواهم، وفي هؤلاء يقول تعالى: ((أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلا تَذَكَّرُونَ)) [الجاثية:٢٣]، ويقول تعالى: ((وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّى إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لا يَنطِقُونَ)) [النمل:٨٣-٨٥]، ويقول تعالى: ((بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ)) [يونس:٣٩].

وهؤلاء يشتد بهم الندم يوم القيامة، فيصرخون قائلين: ((وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ)) [الملك:١٠]، ويقول تعالى عنهم: ((وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ * وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ)) [فاطر:٣٧].

يقول ابن القيم رحمه الله: (وقد يمرض القلب ويشتد مرضه ولا يعرف به صاحبه لاشتغاله وانصرافه عن معرفة صحته وأسبابها، بل قد يموت وصاحبه لا يشعر بموته، وعلامة ذلك أنه لا تؤلمه جراحات القبائح ولا يوجعه جهله بالحق وعقائده الباطلة؛ فإن القلب إذا كان فيه حياة تألم بورود القبيح عليه وتألم بجهله بالحق بحسب حياته:

وما لجرح بميت إيلام[(٧)]

وقد يشعر بمرضه ولكن يشتد عليه تحمل مرارة الدواء والصبر عليها، فهو يؤثر بقاء الداء على مشقة الدواء؛ فإن دواءه في مخالفة الهوى وذلك أصعب شيء على النفس وليس لها أنفع منه، وتارة يوطن نفسه على الصبر ثم ينفسخ عزمه ولا يستمر معه لضعف علمه

(٧) هو شطر من بيت شعر للمتنبي وأوله: من يهن يسهل الهوان عليه...

وبصيرته وصبره، كمن دخل في طريق مخوف مفض إلى غاية الأمن وهو يعلم أنه إن صبر عليه انقضى الخوف وأعقبه الأمن، فهو محتاج إلى قوة صبر وقوة يقين بما يصير إليه ومتى ضعف صبره ويقينه رجع من الطريق ولم يتحمل مشقتها ولا سيما إن عدم الرفيق واستوحش من الوحدة وجعل يقول: أين ذهب الناس فلي بهم أسوة. وهذه حال أكثر الخلق وهي التي أهلكتهم)[٨].

**الصنف الثاني:** قوم عرفوا من العلم ما يمكنهم من التمييز بين الحق والباطل، ومع ذلك اتبعوا ما يعرفون أنه باطل إيثاراً لأهواء النفوس وشهواتها، قال تعالى: ((الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)) [البقرة:١٤٦].

ذكر ابن إسحاق[٩] أن الوليد بن المغيرة اجتمع ونفر من قريش -وكان ذا سن فيهم- وقد حضر الموسم، فقال: إن وفود العرب ستقدم عليكم فيه وقد سمعوا بأمر صاحبكم، فأجمعوا فيه رأيًا واحدًا ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً. قالوا: فأنت فقل وأقم لنا رأياً. قال: بل أنتم فقولوا وأنا أسمع.

قالوا: نقول: كاهن. فقال: ما هو بكاهن؛ لقد رأيت الكهان فما هو بزمزمة الكاهن وسجعه.

فقالوا: نقول: مجنون. فقال: ما هو بمجنون؛ ولقد رأينا الجنون وعرفناه فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته.

قالوا: فنقول شاعر. قال: ما هو بشاعر؛ قد عرفنا الشعر برجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه فما هو بالشعر.

قالوا: فنقول ساحر. قال: ما هو بساحر؛ قد رأينا السحار وسحرهم فما هو بنفثه ولا عقده.

---

(٨) إغاثة اللهفان لابن القيم (٦٩/١).

(٩) سيرة ابن إسحاق (١٣٢/٢).

فقالوا: ما تقول يا أبا عبد شمس؟ قال: والله إن لقوله حلاوة، وإن أصله لغدق، وإن فرعه لجني، فما أنتم بقائلين من هذا شيئا إلا عرف أنه باطل، وإن أقرب القول أن نقول: ساحر يفرق بين المرء وبين ابنه وبين المرء وبين أخيه وبين عشيرته. فتفرقوا عنه بذلك فجعلوا يجلسون للناس حين قدموا الموسم لا يمر بهم أحد إلا حذروه، فأنزل في الوليد ((ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا)) [المدثر:١١] إلى قوله: ((سَأُصْلِيهِ سَقَرَ)) [المدثر:٢٦]، وأنزل الله في الذي كانوا معه ((الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ)) [الحجر:٩١] أي: أصنافاً ((فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ)) [الحجر:٩٢].

**الصنف الثالث:** قوم عدموا العلم والمعرفة، وفقدوا قابلية التعلم لإعجابهم بأنفسهم وبما سبق إلى أذهانهم وجمودهم الشديد عليه، ولكنهم مع جمودهم العلمي لم يفقدوا فاعليتهم، بل هم من أرباب الإرادات الصلبة والعزائم القوية والإقبال على ما يظنون أنه هو الصواب بحماس شديد وروح شبابية منقطعة النظير، وهذا الحماس في مجال العمل، وقد ساهم هذا الجد والاجتهاد بميدان العمل في الجمود العلمي والمعرفي، ورحم الله القائل:

**إذا لم يكن عون من الله للفتى فأول ما يجني عليه اجتهاده**

وقال تعالى: ((أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا)) [فاطر:٨]، وقال عز وجل: ((قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا)) [الكهف:١٠٣] ((الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا)) [الكهف:١٠٤] وقال تعالى: ((وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ * عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ * تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً)) [الغاشية:٢-٤].

وأبرز مثل لهؤلاء هو (صواب) الذي كان عبداً لبني عبد الدار، فقد حمل راية قريش في أحد بعد أن تساقط أسياده قتلى، وأبدى من الشجاعة والبطولة ما فاقهم به، وكل ذلك كان منه عن قناعة بمعتقدات قومه، ولم يكلف خاطره أن يفكر فيها وفيما يقوله محمد صلى الله عليه وسلم، وينظر أيهما حق ثم يتبعه ويقاتل من أجله، ويسجل صفحته البطولية على علم وبصيرة.

* * *

## الصوارف عن الحق

تتعدد الأسباب التي تصرف الناس عن الحق سماعاً وعلماً به واستجابة له وتجعلهم يتشبثون بالباطل، وهي جملة أمور:

١- فهناك من يصده عن الحق صاحبه وجليسه، قال تعالى: ((وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَالَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَاوَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلًا * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولًا)) [الفرقان:٢٧-٢٩]، وقد ذكر ابن إسحاق[١٠] أن أبي بن خلف وعقبة بن أبي معيط كانا متصافيين حَسَناً ما بينهما، فكان عقبة قد جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمع منه، فبلغ ذلك أبياً، فأتى عقبة فقال له: ألم يبلغني أنك جالست محمداً وسمعت منه؟ قال : نعم. قال: وجهي من وجهك حرام أن أكلمك -واستغلظ من اليمين- إن أنت جلست إليه أو سمعت منه، أو لم تأته فتتفل في وجهه. ففعل ذلك عدو الله عقبة بن أبي معيط لعنه الله، فأنزل الله تعالى فيهما: ((وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَالَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَاوَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلًا * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولًا)) [الفرقان:٢٧-٢٩].

**يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله:**

«((وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ)) [الفرقان:٢٧] فلا تكفيه يد واحدة يعض عليها، إنما هو يداول بين هذه وتلك، أو يجمع بينهما لشدة ما يعانيه من الندم اللاذع المتمثل في عضه على اليدين، وهي حركة معهودة يرمز بها إلى حالة نفسية فيجسمها تجسيماً.

((يَقُولُ يَالَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا)) [الفرقان:٢٧] فسلكت طريقه، لم أفارقه و لم أضل عنه.

الرسول الذي كان ينكر رسالته ويستبعد أن يبعثه الله رسولاً.

(١٠) السيرة النبوية لابن هشام (٢/٢٠٧).

((يَاوَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلًا)) [الفرقان:٢٨] [الفرقان] (فلاناً) بهذا التجهيل، ليشمل كل صاحب سوء يصد عن سبيل الرسول ويضل عن ذكر الله، ((لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي)) [الفرقان:٢٩]، لقد كان شيطاناً يضل، أو كان عوناً للشيطان، ((وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولًا)) [الفرقان:٢٩] يقوده إلى مواقف الخذلان، ويخذله عند الجد وفي مواقف الهول والكرب»[(١١)].

وقال تعالى: ((وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ * وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ * حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَالَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ)) [الزخرف:٣٨].

يقول سيد رحمه الله: «وظيفة قرناء السوء من الشياطين أن يصدوا قرناءهم عن سبيل الله، بينما هؤلاء يحسبون أنهم مهتدون، ((إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ)) [الأعراف:٣٠].

وهذا أسوأ ما يصنعه قرين بقرين، أن يصده عن السبيل الواحدة القاصدة، ثم لا يدعه يفيق أو يتبين الضلال فيثوب، إنما يوهمه أنه سائر في الطريق القاصد القويم حتى يصطدم بالمصير الأليم»[(١٢)].

٢- وهناك من يصده عن الحق هواه لزعمائه وقادته وتبعيته لهم، قال تعالى: ((يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَالَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولا * وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا * رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا)) [الأحزاب:٦٦-٦٨].

وقال تعالى: ((وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ)) [سبأ:٣١] ((قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ

(١١) في ظلال القرآن (ص:٢٥٦٠).

(١٢)في ظلال القرآن (ص:٣١٨٩)

مُجْرِمِينَ)) [سبأ:٣٢] ((وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا)) [سبأ:٣٣].

فالمستضعفون يلقون تبعة وقفتهم المهينة على الذين اتبعوهم في الدنيا وكانوا مستكبرين، وذلك حين سقطت القيم الزائفة وحين عاينوا العذاب فجهروا بما لم يكونوا يستطيعون قوله، ولم يكن من المستكبرين إلا التخلي عن هذه التبعة بقولهم: ((أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنتُمْ مُجْرِمِينَ)) [سبأ:٣٢].

وكلاهما ظالم لنفسه ومتحمل تبعة جريمته، فالمستكبرون يتحملون جريمة إضلال الآخرين، والمستضعفون يتحملون تبعة بيع الإدراك والحرية التي وهبهم الله تعالى إياها والرضا بالذل والتبعية، فكلهم في العذاب سواء، ولا يجزون إلا ما كانوا يعملون.

وقال تعالى: ((قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لا تَعْلَمُونَ * وَقَالَتْ أُولاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ)) [الأعراف:٣٩].

٣- وهناك من يصده عن الحق تقليده الأعمى للآباء والأجداد، قال تعالى: ((وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا)) [البقرة:١٧٠]، وهي قولة تدعو إلى السخرية، فوق أنها متهافتة لا تستند إلى حجة، إنها مجرد المحاكاة ومحض التقليد بلا تدبر ولا تفكر ولا حجة ولا دليل، وهي صورة مزرية تشبه صورة القطيع يمضي حيث هو منساق، ولا يسأل: إلى أين نمضي، ولا يعرف معالم الطريق.

والإسلام رسالة التحرر والانطلاق من قيود التبعية العمياء الضالة المضلة لا يقر هذا التقليد المزري، ولا يقر محاكاة الآباء والأجداد اعتزازاً بالإثم والهوى، فلابد من سند، ولابد من حجة، ولابد من تدبر وتفكير، ثم اختيار مبني على الإدراك واليقين والاطمئنان.

والآيات تعرض على كفار قريش مصائر الذين قالوا قولتهم تلك واتبعوا طريقهم في المحاكاة والتقليد وفي الإعراض والتكذيب، بعد الإصرار على ما هم فيه على الرغم من

الإعذار والبيان.

قال تعالى: ((وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ * قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ * فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ)) [الزخرف:٢٥].

والله تبارك وتعالى يرشد كل من اتخذ الآباء حجة إلى ضرورة الانتباه للاحتمال المنسي في أولئك الآباء، وهو احتمال الخطأ والوقوع في الضلال، فقال: ((أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ)) [البقرة:١٧٠]، أي: الذين يقتدون بهم ويقتفون أثرهم ((لا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ)) [البقرة:١٧٠] أي: ليس لهم فهم ولا هداية.

فالآية تندد بتلقي شيء في أمر العقيدة من غير الله، وتندد بالتقليد في هذا الشأن والنقل بلا تعقل ولا إدراك ((أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ)) [البقرة:١٧٠]؟!

٤- وهناك من يصده عن الحق ملؤه وحاشيته وبطانة السوء التي تلتف حوله.

قال الله تعالى عن فرعون وملئه: ((وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ)) [الأعراف:١٢٧]، ومع أنه لم يكن ينقصه العناد والبغي إلا أن هذه الكلمات زادت من عتو فرعون، وأشعرته بالخطر الحقيقي على ملكه ونظامه كله، فانطلق يعلن عزمه الوحشي البشع ((قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ)) [الأعراف:١٢٧].

٥- وهناك من يصده عن الحق افتتانه بالنساء أو بالأولاد، وقد حذر الله تعالى من هذه الفتنة فقال: ((إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ)) [التغابن:١٥].

٦- وهناك من يصده عن الحق افتتانه بالمال أو بالجاه والشهرة التي يظن أنها ستذهب عنه إذا اتبع الحق، ويسول له الشيطان أن في اتباعه للحق مذلة ومهانة، فيفضل أن يكون رأساً في الباطل على أن يصير ذنباً في الحق، وذلك من تسويل الشيطان؛ فإن من اتبع الحق

اتباعاً صحيحاً وامتلك مواهب القيادة والزعامة لم يزده الحق إلا عزاً، وأعظم مثال على ذلك ما جرى لعمر بن الخطاب رضي الله عنه من الرفعة والعز في مقابل ما جرى لأبي جهل من الذلة والمهانة، وما صَدَّ أبا جهل عن اتباع الحق إلا ظَنُّه أن اتباعه للحق سيجلب له المذلة والمهانة، ولو أنه اتبع الحق كما فعل عمر لكان ذلك أرجى له إلى نيل العز والمجد، قال تعالى: ((لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلا تَعْقِلُونَ)) [الأنبياء:١٠] أي: فيه شرفكم وعزكم. وقال تعالى: ((قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا)) [الطلاق:١٠] ومعنى (ذِكْراً) في هذا الموضع: شرفاً (على أرجح الأقوال).

٧- وهناك من يصده عن الحق طبيعة موجودة في نفوس بعض البشر، تلك الطبيعة هي مقاومة التغيير، والانتصار للعادة والإلف، وقد حفظ لنا التاريخ قصة عجيبة تبين هذا الأمر وتوضحه، فقد توجه الأعشى ميمون -الشاعر المشهور- إلى المدينة ليلقي قصيدة مدح للرسول صلى الله عليه وسلم ويعلن إسلامه وانضمامه إلى المسلمين، فلقيه في الطريق أحد المشركين، ولما علم وجهته قال له: إن محمداً يحرم الخمر! -وكان الأعشى من المدمنين على الخمر- فقال: أما هذا فلا أطيقه، ولكن سأشربها عامي هذا ثم أسلم. فرجع إلى بلاده، وفي الطريق وقع عن ناقته واندقت عنقه فمات.

٨- وهناك من يصده عن الحق، الضغط الذي يمارسه عليه أبواه وأهله ومجتمعه تارة بالترغيب وتارة بالترهيب وتارة بأساليب أخرى، فقد تلوح للمرء أعلام الحق، ويعرف أن الحق في غير ما كان عليه، فيبدي من نفسه ميلاً نحو هذا الحق الذي عرفه، ويشعر أهله وذووه بهذا الميل فيوجهون جهودهم إلى صد هذا الفرد عن مفارقة ما هم عليه.

فإذا كان هو في نفسه من أهل الخور والضعف وليس له من الإيمان إلا مجرد قناعة باردة لا حرارة فيها فإنه سريعاً ما يركن إلى الجانب المستريح، ويقول ربنا عز وجل عن أنصاف الرجال أولئك المستريحين: ((وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ)) [العنكبوت:١٠]، ويقول جل وعلا: ((وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ)) [الحج:١١].

ولا شك أن أصعب ما يواجهه المرء في طريق هدايته أن يقف أبواه أو أحدهما له في هذا الطريق بالمرصاد، وهو قد يواجه الدنيا بأسرها لكنه يجد أشد الحرج في مخالفة أبويه، من أجل ذلك يقول عز وجل: ((وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا)) [العنكبوت:٨]، ويقول في سورة أخرى: ((وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا)) [لقمان:١٥].

وبعض الآباء من شدة حرصه على ثني ولده عن الحق قد يغرق ابنه في مستنقع من الشهوات والملذات ويسلط عليه وسائل الإغواء الغواني والأغاني والندامى والحانات والبارات حتى يغيب عقله ويقتل حماسه ونشاطه ويغتال عفته وطهارته، فإذا ما صحا عقله يوماً ما وجد نفسه ملطخاً بقاذورات تسد في وجهه -بما يوسوس به الشيطان- طريق التوبة، ويقع بجهله في اليأس والقنوط.

والعاقل من اختار لنفسه طريق الهداية وجنبها طرق الغواية، واستأنس بنور الكتاب، وسنة النبي المختار صلى الله عليه وسلم.

* * *

## كذلك يمحو الله الباطل ويحق الحق

ومع غلبة الباطل على الناشئين فيه، وصعوبة وصول الهداية إلى قلوبهم، مع ذلك هناك أناس رغم أنهم نشئوا على ما نشأ عليه قومهم من الباطل إلا أن النور وجد له سبيلاً إلى قلوبهم، فأدى ذلك إلى أن يعملوا عقولهم فيما هم عليه وفيما دعوا إليه، و لم يطل الأمر فقد أدى بهم تفكيرهم إلى أن ينفروا مما كانوا عليه ويقبلوا على ما دعوا إليه، فانتصر الحق في داخلهم، ثم واجهوا المحيط الخارجي وتحدياته وصده لهم عن الحق بكل الوسائل من ترغيب وترهيب، ورغم سقوط بعضهم في حبائل شياطين المجتمع ورضوخهم لضغطه إلا أن هناك من تمكن الحق من نفسه وقلبه، فانتصر الحق في داخل نفسه ثم في محيطه وبيئته، ولكن صمود هذه القلة التي اختارت الحق يغير نفوس كثير من أفراد المجتمع شيئاً فشيئاً، فينتقلون من مُعادين للحق إلى محايدين يعيشون في حيرة واضطراب، ثم ينبلج الفجر فإذا بالتغيير الاجتماعي يحصل، وإذا بالحق ينتصر على الباطل، وكل ذلك بفضل الله أولاً، ثم بالثبات الذي كانت عليه قلة مؤمنة صابرة.

إنهم أبطال بكل المقاييس والمعايير، ولهم من ربهم أجر عظيم، كما قال تعالى: ((وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا)) [الحديد: ١٠].

يبدأ الأمر بواحد، ثم بآخر، ثم بمجموعة قليلة يصمدون ضد الضغط الاجتماعي الهائل، يثبتون رغم المحن والعواطف، ورغم الوعيد والتهديد، وكثيراً ما يواجهون الحبس أو النفي، أو الاعتداء بالضرب أو بالسب والسخرية والاستهزاء، وقد يصل الأمر إلى القتل.

ولا يتورع أهل الباطل عن أخس الوسائل، فقد يؤذون المؤمن المهتدي في عرضه، وقد يسلطون عليه من يسحره بما يفرق بينه وبين زوجه، أو يوقع البغض في بيته، أو يصيبه بسوء في عقله أو نفسه، ولا عاصم إلا الله.

وحتى نستشعر عظمة أولئك الرجال لابد لنا أن ننظر فيما واجهوه من فتن ومحن وشدائد وكيف انتصروا عليها جميعاً.

* * *

## مفارقة الأهل والأصحاب والأوطان

من أشد الابتلاءات التي واجهها أولئك الأبطال الأفذاذ -ولا يزال أمثالهم يواجهها- مفارقة أهليهم وأصحابهم وأوطانهم.

وحب الأهل شيء مغروس في النفس لا يمكن أن يتغلب عليه إلا حب أعظم منه وأجل وهو حب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

إن أهل الإنسان هم عزوته في الشدائد وعصبته التي يتفاخر بها في النوادي ويحتمي بها في الخصومات، وما أشق أن يشعر الإنسان أنه بمفرده، وذلك لأن من أعظم حاجات الإنسان حاجته إلى الانتماء.

إن مفارقة الأهل والأصحاب والأوطان من أجل الإيمان إنما هي ولادة جديدة آلامها أشد على صاحبها وأشق من آلام فراقه لبطن أمه حين خروجه منه.

وهذا بلال رضي الله عنه مع قلة علائقه بمكة يفتقدها فيقول بعد أن وصل إلى المدينة المنورة:

**ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة    بواد وحولي إذخر وجليل**

**وهل أردن يوماً مياه مجنة    وهل يبدُوَنْ لي شامة وطفيل**

ومن أشهر من فارقوا أهلهم ووطنهم في سبيل الله تعالى ومن أجل الإيمان به:

**- إبراهيم عليه السلام:**

ذكر الله عنه أنه قال: ((وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا)) [مريم:٤٨]، وقوله: ((وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)) [العنكبوت:٢٦]، وقوله: ((قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ

وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ)) [الممتحنة:٤].

ومحمد صلى الله عليه وسلم، حين حين هاجر من مكة نظر إليها وقال: (علمت أنك خير أرض الله، وأحب الأرض إلى الله، ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت)[١٣] ودعا الله من أجله ومن أجل أصحابه قائلاً: (اللهم! حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد)[١٤]، واستجاب الله دعاءه، فكان يحن إلى المدينة فإذا جاء من غزو وبدت له معالمها حرك راحلته وقال: (هذه طابة، وهذا أحد جبل يحبنا ونحبه)[١٥].

وكما اهتز من حبه حراء كذلك اهتز أحد شوقاً وطرباً.

### – موسى عليه السلام وفراره من بطش فرعون:

تأمل في قوله تعالى: ((فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ)) [القصص:٢١] خائفا يترقب، وحيدا فريدا، غير مزود إلا بالاعتماد على مولاه والتوجه إليه طالبا عونه وهداه.

((وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ)) [القصص:٢٢].

ونلمح شخصية موسى عليه السلام فريدا وحيدا مطاردا في الطرق الصحراوية في اتجاه مدين في جنوبي الشام وشمالي الحجاز، مسافات شاسعة، وأبعاد مترامية، لا زاد ولا استعداد، فقد خرج من المدينة خائفا يترقب، وخرج منزعجا بنذارة الرجل الناصح لم يتلبث، ولم يتزود ولم يتخذ دليلاً، ونلمح إلى جانب هذا نفسه متوجهة إلى ربه مستسلمة له، متطلعة إلى هداه ((عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ)) [القصص:٢٢].

### – أصحاب الكهف:

إنهم النموذج القرآني للمؤمنين في كل زمان ومكان، ولأهمية قصتهم سميت السورة التي ذكروا فيها باسمهم، قال تعالى: ((أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ

---

(١٣) مسند أحمد (٤/٣٠٥).

(١٤) رواه البخاري (٢/٦٦٧)(١٧٩٠).

(١٥) رواه البخاري (٤/١٦١٠)(٤١٦٠)

آيَاتِنَا عَجَبًا * إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا * فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا * ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا * نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى * وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا * هَؤُلاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا * وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقًا)) [الكهف:٩-١٦].

والآية الأخيرة ((يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقًا)) [الكهف:١٦] يقول عنها سيد قطب رحمه الله: (تلقي ظلال السعة والبحبوحة والانفساح، فإذا الكهف الضيق فضاء فسيح واسع تنتشر فيه الرحمة وتمتد ظلالها)[١٦].

إن الحدود الضيقة لتنزاح، وإن الجدران الصلدة لترق، وإن الوحشة الموغلة لتشف، فإذا الرحمة والرفق والراحة والارتفاق.

إنه الإيمان.

وما قيمة الظواهر؟ وما قيمة القيم والأوضاع والمدلولات التي تعارف عليها الناس في حياتهم الأرضية؟ إن هنالك عالما آخر في جنبات القلب المغمور بالإيمان المأنوس بالرحمن، عالما تظلله الرحمة والرفق والاطمئنان والرضوان.

### - قصة سعد بن أبي وقاص مع أمه:

سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه -وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة- قالت له أمه: إنك تقول: إن دينك جاء بمكارم الأخلاق وصلة الأرحام -وكان سعد من أبر الناس بأمه- فوالله ما أطعم طعاماً ولا أشرب شراباً حتى تكفر بدينك، فإذا مِتُّ عُيِّرت بي، فيقال: يا قاتل أمه. وكانوا إذا أرادوا أن يطعموها فتحوا فمها بالعصا، لأنها تأبى أن تأكل وتشرب حتى يعير سعد بها طيلة العمر، فقال لها: يا أم! كلي أو دعي، فوالله لو كان لك مائة نفس،

(١٦) في ظلال القرآن (ص:٢٢٦٢).

فخرجت نفساً نفساً ما كفرت بديني. فأنزل الله عز وجل قوله: ((وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا)) [العنكبوت:٨] [١٧]، فطاعة الوالدين لها حدود، إلا طاعة الله ورسوله، فطاعتهما مطلقة، وكل إنسان في الدنيا طاعته مقيدة بقيدين: القيد الأول: الاستطاعة. والقيد الثاني: المعروف فإذا أُمرت بما لا تستطيع سقط الأمر وسقط وجوبه، وإذا كان مستطاعاً لكنه حرام سقط وجوبه، لكن طاعة الله ورسوله مطلقة لا حد لها.

### – مصعب بن عمير:

كانت أم مصعب «خنّاس بنت مالك» تتمتع بقوة فذة في شخصيتها، وكانت تهاب إلى حد الرهبة..

و لم يكن مصعب حين أسلم ليحاذر أو يخاف على ظهر الأرض قوة سوى أمه.

ولقد فكر سريعا، وقرر أن يكتم اسلامه حتى يقضي الله أمرا.

وظل يتردد على دار الأرقم، ويجلس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو قرير العين بايمانه، وبتفاديه غضب أمه التي لا تعلم خبر اسلامه.

ولقد أبصر به «عثمان بن طلحة» وهو يدخل خفية الى دار الأرقم، ثم رآه مرة أخرى وهو يصلي كصلاة محمد صلى الله عليه وسلم، فسابق ريح الصحراء الى أم مصعب، حيث ألقى عليها النبأ الذي طار بصوابها.

وحين عرفت أنه أسلم و لم تستطع أن ترده حبسته في دارها.

ثم وجد فرصة يوماً ما فخرج من حبسه وهاجر مع المسلمين إلى الحبشة.

لقد كان إيمانه عميقاً، فلم يبال بما حصل له في ذات الله تعالى.

خرج يوما على بعض المسلمين وهم جلوس حول رسول الله صلى الله عليه وسلم، فما أن بصروا به حتى حنوا رؤوسهم وغضوا أبصارهم وذرفت عيونهم دمعا شجيّا.

---

(١٧) تفسير ابن كثير (٣/٥٨٦).

ذلك أنهم رأوه يرتدي جلبابا مرقعاً بالياً، وعاودهم صورته الأولى قبل إسلامه حين كانت ثيابه كزهور الحديقة النضرة ألقاً وعطراً.

وتملى رسول الله مشهده بنظرات حكيمة شاكرة محبة، وتألقت على شفتيه ابتسامته الجليلة وقال: «لقد رأيت مصعبا هذا وما بمكة فتى أنعم عند أبويه منه، ثم ترك ذلك كله حبا لله ورسوله»(١٨)!!

لقد منعته أمه حين يئست من ردّته كل ما كانت تفيض به عليه من نعمة، وأبت أن يأكل طعامها انسان هجر الآلهة وحاقت به لعنتها، حتى ولو كان هذا الانسان ابنها.

### يقول خبّاب بن الأرت:

هاجرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبيل الله نبتغي وجه الله، فوجب أجرنا على الله، فمنا من مضى و لم يأكل من أجره في دنياه شيئا، منهم مصعب بن عمير، قتل يوم أحد فلم يوجد له شيء يكفن فيه إلا نمرة، فكنا إذا وضعناها على رأسه تعرّت رجلاه، وإذا وضعناها على رجليه برز رأسه، فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اجعلوها مما يلي رأسه، واجعلوا على رجليه من نبات الإذخر»(١٩).

### - آل أبي سلمة:

روى ابن إسحاق عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: لما أجمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة رحل لي بعيره ثم حملني عليه وحمل معي ابني سلمة بن أبي سلمة في حجري ثم خرج بي يقود بي بعيره، فلما رأته رجال بني المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم قاموا إليه فقالوا: هذه نفسك غلبتنا عليها أرأيت صاحبتك هذه علام نتركك تسير بها في البلاد؟ قالت: فنزعوا خطام البعير من يده فأخذوني منه.

قالت: وغضب عند ذلك بنو عبد الأسد رهط أبي سلمة فقالوا: لا والله لا نترك ابننا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا. قالت: فتجاذبوا ابني سلمة بينهم حتى خلعوا يده، وانطلق

(١٨) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (١١٦/٣)، والمنتظم لابن الجوزي (١٩٣/٣).

(١٩) رواه البخاري (١٤٨٧/٤)(٣٨٢١)، ومسلم (٦٤٩/٢)(٩٤٠).

به بنو عبد الأسد، وحبسني بنو المغيرة عندهم، وانطلق زوجي أبو سلمة إلى المدينة. قالت: ففرق بيني وبين زوجي وبين ابني.

قالت: فكنت أخرج كل غداة فأجلس بالأبطح فما أزال أبكي حتى أمسي سنةً أو قريباً منها حتى مر بي رجل من بني عمي أحد بني المغيرة فرأى ما بي فرحمني فقال لبني المغيرة: ألا تخرجون هذه المسكينة، فرقتم بينها وبين زوجها وبين ولدها؟ فقالوا لي: الحقي بزوجك إن شئت. قالت: ورد بنو عبد الأسد إلي عند ذلك ابني.

فارتحلت بعيري ثم أخذت ابني فوضعته في حجري ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة، وما معي أحد من خلق الله، فقلت: أتبلغ بمن لقيت حتى أقدم على زوجي. حتى إذا كنت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة بن أبي طلحة أخا بني عبدالدار فقال لي: إلى أين يا بنت أبي أمية؟ فقلت: أريد زوجي بالمدينة. قال: أوما معك أحد؟ فقلت: لا -والله- إلا الله وبني هذا. قال: والله ما لك من مترك. فأخذ بخطام البعير فانطلق معي يهوي بي، فوالله ما صحبت رجلاً من العرب قط أرى أنه كان أكرم منه، كان إذا بلغ المنزل أناخ بي ثم استأخر عني حتى إذا نزلت استأخر ببعيري فحط عنه ثم قيده في الشجرة ثم تنحى عني إلى شجرة فاضطجع تحتها، فإذا دنا الرواح قام إلى بعيري فقدمه فرحله ثم استأخر عني وقال: اركبي. فإذا ركبت واستويت على بعيري أتى فأخذه بخطامه فقاده حتى ينزل بي. فلم يزل يصنع ذلك بي حتى أقدمني المدينة، فلما نظر إلى قرية بني عمرو بن عوف بقباء قال: زوجك في هذه القرية – وكان أبو سلمة بها نازلا – فادخليها على بركة الله. ثم انصرف راجعا إلى مكة.

فكانت تقول: والله ما أعلم أهل بيت في الإسلام أصابهم ما أصاب آل أبي سلمة، وما رأيت صاحبا قط كان أكرم من عثمان بن طلحة[٢٠].

أخي الحبيب!

إذا شق عليك الهجر والعداوة التي تلقاها من أقاربك بسبب تركك ما هم عليه من

(٢٠) السيرة النبوية لابن هشام (٢/٣١٥، ٣١٦).

الكفر أو البدعة إذا شق ذلك عليك فتعلق بالرجاء الرباني في قوله تعالى: ((عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)) [الممتحنة:٧].

إن الله سبحانه وتعالى يعلم ما في قلوب المؤمنين من حنين ورغبة في زوال حالة العداء والجفوة، فينسم على هذه القلوب بنسمة الأمل الندية في أن ينضم هؤلاء إلى راية الإسلام وإلى صفوف المسلمين، وذلك ما أطاع المؤمنون ربهم في ولايته والبراءة من أعدائه ولو كانوا من أقاربهم وأرحامهم، فيكون ثبات المؤمنين على الحق وعدم مداهنتهم لأقاربهم في اتباعه هو السبيل الذي يجعل هؤلاء يفيئون إلى الحق، كما أن هذا الثبات من المؤمنين هو طاعة منهم لربهم يكافئهم ربهم عليها بما لا يقدر عليه أحد إلا الله، وهو الهداية التي يسوقها إلى قلوب أولئك الأقارب، وقد قال صلى الله عليه وسلم: (**من أرضى الناس بسخط الله، سخط الله عليه وأسخط عليه الناس، ومن أسخط الناس برضى الله رضي الله عنه وأرضى عنه الناس**)[٢١].

(٢١) رواه أبو نعيم في الحلية (١٨٨/٨)، وهو في مسند ابن الجعد (٢٤١/١) (١٥٩٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٦٠١٠).

# الإيذاء الجسدي والنفسي

## ما لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم من قومه:

(ذكر ابن إسحاق والواقدي والتيمي وابن عقبة وغيرهم في هذا الباب أموراً كثيرة تتقارب ألفاظها ومعانيها وبعضهم يزيد على بعض، فمنها حثو سفهائهم التراب على رأسه، ومنها أنهم كانوا يضعون الفرث والدماء على بابه، ويطرحون رحم الشاة في برمته، ومنها بصق أمية بن خلف في وجهه، ومنها وطء عقبة بن أبي معيط على رقبته وهو ساجد عند الكعبة حتى كادت عيناه تبرزان، ومنها أخذهم بمخنقه حين اجتمعوا له عند الحجر، وقد ذكره ابن إسحق، وزاد غيره أنهم خنقوه خنقاً شديداً وقام أبو بكر دونه فجبذوا رأسه ولحيته حتى سقط أكثر شعره، وأما السب والهجو وتعذيب أصحابه وأحبائه وهو ينظر فكثير)[٢٢].

ومما أصاب النبي صلى الله عليه وسلم من الإيذاء ما جاء عن عروة بن الزبير قال: سألت عبد الله بن عمرو بن العاص عن أشد ما صنع المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (**رأيت عقبة بن أبي معيط جاء إلى النبي** صلى الله عليه وسلم **وهو يصلي، فوضع رداءه في عنقه فخنقه به خنقاً شديداً، فجاء أبو بكر حتى دفعه عنه فقال: أتقتلون رجلا أن يقول: ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم؟**)[٢٣].

وجاء في البخاري[٢٤] عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: (**كان صلى الله عليه وسلم يصلي عند الكعبة وجمع من قريش في مجالسهم إذ قال قائل منهم: ألا تنظرون إلى هذا المرائي؟ أيكم يقوم إلى جزوز آل فلان فيعمد إلى فرثها ودمها وسلاها فيجيء به ثم يمهله حتى إذا سجد وضعه بين كتفيه؟ فانبعث أشقاهم، فلما سجد صلى الله عليه وسلم وضعه بين كتفيه، وثبت النبي صلى الله عليه وسلم ساجداً، فضحكوا حتى مال بعضهم**

(٢٢) نقلاً عن الروض الأنف بتصرف يسير (٢/٤٠).

(٢٣) رواه البخاري (٣٦٧٨).

(٢٤) رواه البخاري (٢٤٠).

على بعض من الضحك، فانطلق منطلق إلى فاطمة، فأقبلت تسعى وثبت النبي صلى الله عليه وسلم ساجداً حتى ألقته عنه، وأقبلت عليهم تسبهم، فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة قال: اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش. ثم سمى فقال: اللهم عليك بعمرو بن هاشم وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وأمية بن خلف وعقبة بن أبي معيط وعمارة بن الوليد. قال عبد الله: فوالله لقد رأيتهم صرعى يوم بدر ثم سحبوا إلى القليب قليب بدر، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وأتبع أصحاب القليب لعنة).

أما عقبة بن أبي معيط فكان من أسرى بدر وأمر رسول الله بقتله.

- آل ياسر:

عن عثمان بن عفان قال: لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبطحاء فأخذ بيدي فانطلقت معه، فمر بعمار وأم عمار وهم يعذبون، فقال: (صبرا آل ياسر فإن مصيركم إلى الجنة)[٢٥].

عن مجاهد قال: (أول من أظهر الإسلام سبعة: رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وخباب وصهيب وبلال وعمار وسمية أم عمار، فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعه أبو طالب، وأما أبو بكر فمنعه قومه، وأما الآخرون فألبسوهم أدراع الحديد ثم صهروهم في الشمس، فبلغ منهم الجهد ما شاء الله أن يبلغ من حر الحديد والشمس، فلما كان من العشي أتاهم أبو جهل لعنه الله ومعه حربة فجعل يشتمهم ويوبخهم)[٢٦].

- سمية أم عمار:

وهي سمية بنت خباط، كانت أمة لأبي حذيفة بن المغيرة المخزومي، وكان ياسر حليفاً لأبي حذيفة فزوجه سمية فولدت له عماراً فأعتقه أبو حذيفة، وكانت من السابقين إلى الإسلام، قيل: كانت سابع سبعة في الإسلام. وكانت ممن يعذب في الله عز وجل أشد

---

(٢٥) رواه أبو نعيم في الحلية (١/١٤٠).

(٢٦) رواه أبو نعيم في الحلية (١/١٤٠)، وانظر: مصنف ابن أبي شيبة (٣٢٣٣٤، ٣٣٨٦٩).

العذاب.

وقد قال أبو جهل لسمية أم عمار بن ياسر: ما آمنت بمحمد إلا لأنك عشقته لجماله. ثم طعنها بالحربة في قبلها حتى قتلها. فهي أول شهيد في الإسلام، وكان قتلها قبل الهجرة، وكانت ممن أظهر الإسلام بمكة في أول الإسلام.

**- عمار:**

قال عروة بن الزبير: (كان عمار بن ياسر من المستضعفين الذين يعذبون بمكة ليرجع عن دينه، والمستضعفون قوم لا عشائر لهم بمكة وليست هم منعة ولا قوة، فكانت قريش تعذبهم في الرمضاء بأنصاف النهار ليرجعوا عن دينهم.

قال عمر بن الحكم: (كان عمار بن ياسر يعذب حتى لا يدري ما يقول، وكان صهيب يعذب حتى لا يدري ما يقول، وكان أبو فكيه يعذب حتى لا يدري ما يقول، وبلال وعامر بن فهيرة وقوم من المسلمين، وفيهم نزلت هذه الآية ((وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا)) [النحل:٤١])(٢٧).

وعن عثمان قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعمار ولأبيه ولأمه وهم بمكة والمشركون يعذبونهم: «**صبرا آل ياسر فإن موعدكم الجنة**»(٢٨).

وفي رواية أخرى: «**اللهم! اغفر لآل ياسر وقد فعلت**»(٢٩).

وعن عمرو بن ميمون قال: عذب المشركون عمارا بالنار، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يمر به فيمر يده على رأسه ويقول: «**يا نار! كوني بردا وسلاما على عمار كما كنت على إبراهيم، تقتلك الفئة الباغية**»(٣٠).

**- بلال:**

---

(٢٧) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٣/٢٤٨)، وتاريخ دمشق (٤٣/٣٦٧).

(٢٨) انظر: تاريخ دمشق (٤٣/٣٦٨).

(٢٩) رواه أحمد (٤٣٩)، وانظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٣/٢٤٩)، وتاريخ دمشق (٤٣/٣٧٠).

(٣٠) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٣/٢٤٨)، وتاريخ دمشق (٤٣/٣٧٢).

من الذين عذبوا لأجل إسلامهم بلال بن رباح الحبشي مولى أبي بكر، وكان أبوه من سبي الحبشة وأمه حمامة سبية أيضاً، وهو من مولدي الشراة، وكنيته أبو عبد الله، فصار بلال لأمية بن خلف الجمحي، فكان إذا حميت الشمس وقت الظهيرة يلقيه في الرمضاء على وجهه وظهره ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتلقى على صدره ويقول: لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى. وهو يقول «أحد. أحد»[(٣١)].

### - خباب بن الأرت:

وكان إسلامه قديماً، قيل: سادس ستة قبل دخول رسول الله دار الأرقم، فأخذه الكفار وعذبوه عذاباً شديداً، فكانوا يعرونه ويلصقون ظهره بالرمضاء ثم بالرضف -وهي الحجارة المحماة بالنار- ولووا رأسه فلم يجبهم إلى شيء مما أرادوا، وهاجر وشهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

عن خباب بن الأرت قال: (كنت رجلا قيناً، وكان لي على العاص بن وائل دين، فأتيته أتقاضاه فقال: لا والله لا أقضيك حتى تكفر بمحمد. فقلت: لا والله لا أكفر بمحمد حتى تموت ثم تبعث، قال: فإني إذا مت ثم بعثت جئتني ولي ثم مال وولد فأعطيك، فأنزل الله تعالى: ((أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا)) [مريم:٧٧] إلى قوله: ((وَيَأْتِينَا فَرْدًا)) [مريم:٨٠])[(٣٢)].

### - عثمان بن مظعون:

قال ابن إسحاق: (لما رأى عثمان بن مظعون ما فيه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من البلاء وهو يغدو ويروح في أمان من الوليد بن المغيرة قال: والله إن غدوي ورواحي آمنا بجوار رجل من أهل الشرك وأصحابي وأهل ديني يلقون من البلاء والأذى في الله ما لا يصيبني لنقص كبير في نفسي.

فمشى إلى الوليد بن المغيرة فقال له: يا أبا عبد شمس! وفت ذمتك قد رددت إليك

(٣١) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٢/١٦٠،١٥٩).

(٣٢) رواه البخاري (٢٢٧٥)، ومسلم (٢٧٩٥).

جوارك، فقال له: لم يا ابن أخي؟ لعله آذاك أحد من قومي؟ قال: لا، ولكني أرضى بجوار الله ولا أريد أن أستجير بغيره؟ قال: فانطلق إلى المسجد فاردد علي جواري علانية كما أجرتك علانية.

قال: فانطلقا فخرجا حتى أتيا المسجد، فقال الوليد: هذا عثمان قد جاء يرد علي جواري. قال: صدق، قد وجدته وفياً كريم الجوار، ولكني قد أحببت أن لا أستجير بغير الله فقد رددت عليه جواره، ثم انصرف عثمان ولبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب في مجلس من قريش ينشدهم، فجلس معهم عثمان، فقال لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل قال عثمان: صدقت. قال لبيد: وكل نعيم لا محالة زائل.

قال عثمان: كذبت؛ نعيم الجنة لا يزول. قال لبيد بن ربيعة: يا معشر قريش! والله ما كان يؤذى جليسكم فمتى حدث هذا فيكم؟ فقال رجل من القوم: إن هذا سفيه في سفهاء معه قد فارقوا ديننا فلا تجدن في نفسك من قوله، فرد عليه عثمان حتى شري أمرهما، فقام إليه ذلك الرجل فلطم عينه فخضرها، والوليد بن المغيرة قريب يرى ما بلغ من عثمان، فقال: أما والله -يا ابن أخي- إن كانت عينك عما أصابها لغنية، لقد كنت في ذمة منيعة. قال عثمان: بل والله إن عيني الصحيحة لفقيرة إلى مثل ما أصاب أختها في الله، وإني لفي جوار من هو أعز منك وأقدر يا أبا عبد شمس، فقال له الوليد: هلم يا ابن أخي إن شئت فعد إلى جوارك. فقال: لا)[٣٣].

(٣٣) سيرة ابن إسحاق (٢/١٥٨، ١٥٩)، وانظر: السيرة النبوية لابن هشام (٢/٢١٤، ٢١٥، ٢١٦).

## التخويف والتهديد

التخويف والتهديد وسيلتان يلجأ إليهما الطغاة والمجرمون لما لهما من أثر كبير على ضعاف النفوس، قال تعالى: ((وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ)) [العنكبوت:١٠]، وقال تعالى: ((فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ)) [يونس:٨٣]، وقال تعالى عن إبراهيم: ((فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ)) [العنكبوت:٢٤].

وقال تعالى عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ((الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ * فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ * إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)) [آل عمران:١٧٣-١٧٥]، وليس عجيباً أن يقول كفار قريش لنبيهم محمد صلى الله عليه وسلم: ((إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا)) [القصص: ٥٧].

فنعمة الأمن من أعظم النعم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**من أصبح آمناً في سربه معافى في جسده عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها**)[(٣٤)].

وقد امتن الله بنعمة الأمن على قريش فقال: ((الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ)) [قريش:٤]، وقال: ((وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ)) [النحل:١١٢].

وكثيراً ما يهدد الطغاة والمجرمون والمنحرفون دعاة الخير والحق بإزهاق أرواحهم إن لم يستجيبوا لباطلهم، قال الله عن الكفار قاطبة: ((وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ

(٣٤) رواه الترمذي (٢٣٤٦)، وابن ماجه (٤١٤١)، وابن حبان (٦٧١)، والبخاري في الأدب المفرد (٣٠٠)، وحسنه الألباني كما في السلسلة الصحيحة (٢٣١٨).

أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا)) [إبراهيم:١٣]، وقص الله عن أصحاب القرية: ((قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ)) [يس:١٨]، وعن قوم شعيب قال تعالى: ((قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَاشُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ * قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ)) [الأعراف:٨٨-٨٩].

وعن فرعون قال الله تعالى: ((وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ)) [غافر:٢٦]، وقال: ((قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ)) [الشعراء:٢٩].

وقد روي أن أبا جهل كان إذا سمع بالرجل قد أسلم له شرف ومنعة أنبه وأخزاه، وقال: تركت دين أبيك وهو خير منك! لنسفهن حلمك ولنفلين رأيك ولنضعن شرفك وإن كان تاجرا قال: والله لنكسدن تجارتك ولنهلكن مالك، وإن كان ضعيفا ضربه وأغرى به(٣٥).

* * *

(٣٥) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (١٦٢/٢)، والبداية والنهاية (٥٩/٣).

## الطعن في عرضه

### أخي المسلم! أختي المسلمة!

تذكرا كيف صبرت مريم عليها السلام على ذلك الأمر العظيم الذي ابتلاها الله به، إذ يقضي –جلت حكمته- أن تتجلى آية عظمى من آياته على أمته السيدة عليها السلام فتحمل في بطنها ولداً من غير أب، وذلك ما لم تجر به عادة البشر، فهم –لذلك- غير مهيئين لتصديقه، ولابد من أن مريم عليها السلام –بعد أن أخبرها جبريل عليه السلام بقضاء الله سبحانه فيها- قد تصورت بعض ما يمكن أن يقوله الناس عنها ويرمونها به من العظائم، وهي عليها السلام من صفاء النفس وطهارة القلب وحصانة الفرج وحياء البتول العذراء يهون عليها حمل الجبال دون أن تسمع أدنى كلمة تجرح شعورها وتغمز من كرامتها، فكيف تبتلى تلك النفس الحساسة الرقيقة بأن تخرج على الناس بولد من غير أب؟! ومن هؤلاء الناس؟! إنهم اليهود الذين يرتعون في الدماء والأعراض ولا يزعهم عن الشر وازع، قد ألفوا الفساد والإفساد، وخاض أكثرهم في الفواحش، فشق عليهم مقام هذه الصديقة العابدة الزكية الطاهرة العذراء البتول، فعيونهم عليها يلتمسون منها أدنى فعل يمكنهم أن يلمزوها به، فكم ستقر أعينهم بهذه الفرصة التي جرى بها قضاء الله عليها.

وحين حانت ساعة الولادة وألجأها المخاض إلى جذع النخلة تمثل لها هول ما هي مقدمة عليه، وجاشت نفسها من شدة الكرب الذي حل بها فقالت: ((يَالَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا)) [مريم:٢٣] لم تقل ذلك القول تشكياً من ألم المخاض –وما أشد ألم المخاض- فقد هان ذلك الألم عليها وغاب في ظل وطأة الكرب من جراح ستصيبها في أعز ما تملكه، في عرضها، في شرفها، في عفتها، في طهارتها.

وهنا تداركتها الرحمة الإلهية وثبت الله من قلب أمته، فسمعت ما يخفف حزنها ويبدد مخاوفها ((فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا * وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا * فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا)) [مريم:٢٤-٢٦].

وحانت الساعة العصيبة ((فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَامَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا * يَاأُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا)) [مريم:٢٧-٢٨].

فأحالتهم إلى طفلها الذي تحمله بين يديها، وكان ما قصه الله عز وجل علينا من آية بينة دالة على صدقها، ورغم تلك البراءة إلا أنها ما سلمت من ألسنة الحاقدين الكاذبين، فقد ذكر الله ضمن جرائم اليهود تقولهم على أمته الصديقة مريم، فقال تعالى: ((وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا)) [النساء:١٥٦].

وإن لكل مؤمن ومؤمنة في قصة مريم عليها السلام سلواناً يهون ما يتلاقف به الآثمون من قذف المحصنات الغافلات المؤمنات، وإن ذلك الإفك الذي تسمعينه -أختي المؤمنة- مما ينبزك به خفافيش الظلام وحماة الضلالة لإفك قديم، وكأنما تواصى به أئمة الضلال من جميع العصور.

وعلى المتمسك بالحق أن يتذكر ما حصل لخير الخلق وأطهرهم وأزكاهم نفساً حين طعن في عرضه، وأدع القارئ الكريم مع هذا الحدث ومواقفه المؤلمة.

فعن الزهري عن عروة وغيره عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد سفرا أقرع بين نسائه، فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه، وإنه أقرع بيننا في غزاة فخرج سهمي، فخرجت معه بعد ما أنزل الحجاب وأنا أحمل في هودج وأنزل فيه، فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته تلك وقفل، ودنونا من المدينة آذن ليلة بالرحيل، فقمت حين آذنوا بالرحيل حتى جاوزت الجيش، فلما قضيت من شأني أقبلت إلى الرحل، فلمست صدري فإذا عقد لي من جزع أظفار قد انقطع، فرجعت فالتمسته فحبسني ابتغاؤه، وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلونني فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري وهم يحسبون أني فيه، وكان النساء إذ ذاك خفافاً لم يثقلهن اللحم، وإنما نأكل العلقة من الطعام، فلم يستنكر القوم حين رفعوه خفة الهودج، فحملوه، وكنت جارية حديثة السن، فبعثوا الجمل وساروا، فوجدت عقدي بعدما استمر الجيش، فجئت منزلهم وليس فيه أحد منهم، فتيممت منزلي الذي كنت فيه، وظننت أنهم سيفقدونني فيرجعون إلي، فبينما أنا جالسة غلبتني عيناي فنمت، وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني قد

عرس وراء الجيش، فأدلج فأصبح عند منزلي، فرأى سواد إنسان نائم، فأتاني فعرفني حين رآني، وكان يراني قبل الحجاب، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني، فخمرت وجهي بجلبابي، والله ما يكلمني بكلمة، ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه، وهوى حتى أناخ راحلته فوطى ء على يديها فركبتها، فانطلق يقود بي الراحلة، حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا معرسين.

قالت: فهلك في شأني من هلك، وكان الذي تولى كبر الإثم عبد الله بن أبي بن سلول، فقدمنا المدينة فاشتكيت بها شهرا، والناس يفيضون في قول أصحاب الإفك ولا أشعر، وهو يريبني في وجعي أني لا أرى من النبي صلى الله عليه وسلم اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي، إنما يدخل فيسلم ثم يقول: كيف تيكم ثم ينصرف، فذلك الذي يريبني منه، ولا أشعر بالشر حتى نقهت، فخرجت أنا وأم مسطح قبل المناصع وهو متبرزنا، وكنا لا نخرج إلا ليلاً إلى ليل، وذلك قبل أن نتخذ الكنف، وأمرنا أمر العرب الأول في التبرز قبل الغائط، فأقبلت أنا وأم مسطح - وهي ابنة أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف، وأمها بنت صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وابنها مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب - حين فرغنا من شأننا نمشي، فعثرت أم مسطح في مرطها فقالت: تعس مسطح! فقلت لها: بئسما قلت! أتسبين رجلاً شهد بدراً؟ فقالت: يا هنتاه! ألم تسمعي ما قال؟ فقلت: وما قال؟ فأخبرتني بقول أهل الإفك فازددت مرضاً إلى مرضي، فلما رجعت إلى بيتي دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: كيف تيكم؟ فقلت: ائذن لي أن آتي أبوي. وأنا حينئذ أريد أن أستيقن الخبر من قبلهما، فأذن لي، فأتيت أبوي فقلت لأمي: يا أمتاه! ماذا يتحدث الناس به؟ فقالت يا بنية! هوني على نفسك الشأن، فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا أكثرن عليها. فقلت: سبحان الله! ولقد تحدث الناس بهذا؟ قالت: فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم، ثم أصبحت أبكي، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد رضي الله عنهما حين استلبث الوحي يستشيرهما في فراق أهله، قالت: فأما أسامة فأشار عليه بما يعلم من براءة أهله، وبالذي يعلم في نفسه من الود لهم، فقال أسامة: هم أهلك يا

رسول الله، ولا نعلم والله إلا خيراً. وأما علي بن أبي طالب فقال: يا رسول الله! لم يضيق الله عليك، والنساء سواها كثير، وسل الجارية تخبرك. قالت: فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة فقال لها: أي بريرة! هل رأيت فيها شيئا يريبك؟ فقالت: لا والذي بعثك بالحق نبيا إن رأيت منها أمراً أغمصه عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجن فتأكله. قالت: فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من يومه، واستعذر من عبد الله بن أبي بن سلول، فقال وهو على المنبر: من يعذرني من رجل بلغني أذاه في أهلي؟ فوالله ما علمت على أهلي إلا خيراً، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً، وما كان يدخل على أهلي إلا معي. قالت: فقام سعد بن معاذ رضي الله عنه فقال: يا رسول الله! أنا والله أعذرك منه، إن كان من الأوس ضربنا عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا فيه أمرك. فقام سعد بن عبادة رضي الله عنه -وهو سيد الخزرج- وكان رجلاً صالحاً ولكن أخذته الحمية، فقال لسعد بن معاذ: كذبت لعمر الله، لا تقتله ولا تقدر على ذلك. فقام أسيد بن حضير رضي الله عنه وهو ابن عم سعد بن معاذ فقال لسعد بن عبادة: كذبت - لعمر الله - لنقتلنه، فإنك منافق تجادل عن المنافقين. فثار الحيان - الأوس والخزرج - حتى هموا أن يقتتلوا، ورسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر، فلم يزل يخفضهم حتى سكتوا ونزل.

وبكيت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع، ولا أكتحل بنوم، ثم بكيت ليلتي المقبلة لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم، فأصبح أبواي عندي، وقد بكيت ليلتين ويوماً، حتى أظن أن البكاء فالق كبدي، فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي إذ استأذنت امرأة من الأنصار فأذنت لها، فجلست تبكي معي، فبينما نحن كذلك إذ دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم جلس، ولم يجلس عندي من يوم قيل في ما قيل قبلها، وقد مكث شهراً لا يوحى إليه في شأني بشيء، فتشهد حين جلس، ثم قال: «أما بعد فإنه بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله تعالى، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله تعالى وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله تعالى عليه»، فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته قلص دمعي حتى ما أحس منه بقطرة، فقلت لأبي: أجب عني رسول الله صلى الله

عليه وسلم فيما قال. قال: والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم. فقلت لأمي: أجيبي عني رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال. قالت: والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم. قالت: وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيرا من القرآن، فقلت: إني -والله- أعلم أنكم سمعتم حديثاً تحدث الناس به واستقر في نفوسكم وصدقتم به، فلئن قلت لكم: إني بريئة لا تصدقوني بذلك، ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أني منه بريئة لتصدقنني، فوالله مما أجد لي ولكم مثلاً إلا أبا يوسف إذ قال: «فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون»، ثم تحولت فاضطجعت على فراشي، وأنا -والله- حينئذ أعلم أني بريئة، وأن الله تعالى مبرئي ببراءتي، ولكن والله ما كنت أظن أن ينزل الله تعالى في شأني وحياً يتلى، ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله تعالى في بأمر يتلى، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم رؤيا يبرئني الله تعالى بها، فوالله ما رام مجلسه ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء، فسري عنه وهو يضحك، فكان أول كلمة تكلم بها أن قال لي: يا عائشة! احمدي الله تعالى فإنه قد برأك. فقالت لي أمي: قومي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقلت: والله لا أقوم إليه، ولا أحمد إلا الله تعالى هو الذي أنزل براءتي. فأنزل الله عز وجل: ((إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ)) [النور:١١] العشر الآيات، فلما أنزل الله تعالى هذا في براءتي قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه وفقره: والله لا أنفق على مسطح شيئا أبدا بعد ما قال لعائشة رضي الله عنها. فأنزل الله تعالى: ((وَلا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ)) [النور:٢٢] إلى قوله: ((وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)) [النور:٢٢]، فقال أبو بكر ا بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي. فرجع إلى مسطح النفقة التي كان يجري عليه، وقال: والله لا أنزعها منه أبداً. قالت عائشة ل: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل زينب بنت جحش عن أمري فقال: «يا زينب! ما علمت وما رأيت؟» فقالت: يا رسول الله! أحمي سمعي وبصري، والله ما علمت عليها إلا خيراً. وهي التي كانت تساميني من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، فعصمها الله تعالى بالورع. قالت: فطفقت أختها حمنة تحارب لها، فهلكت فيمن هلك من أصحاب

الإفك)[٣٦].

وهكذا عاش رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل بيته، وعاش أبو بكر رضي الله عنه وأهل بيته، وعاش صفوان بن المعطل، وعاش المسلمون جميعاً هذا الشهر كله في مثل هذا الجو الخانق، وفي ظل تلك الآلام الهائلة، بسبب حديث الإفك الذي نزلت فيه تلك الآيات.

فها هي ذي عائشة الطيبة الطاهرة رضي الله عنها ترمى في براءتها ووضاءة ضميرها ونظافة تصوراتها، ها هي ذي ترمى في أعز ما تعتز به، ترمى في شرفها وهي ابنة الصديق الناشئة في العش الطاهر الرفيع، وترمى في أمانتها وهي زوج محمد بن عبد الله من ذروة بني هاشم، وترمى في وفائها وهي الحبيبة المدللة القريبة ذلك القرب الكبير، ثم ترمى في إيمانها وهي المسلمة الناشئة في حجر الإسلام من أول يوم تفتحت عيناها فيه على الحياة وهي زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وها هو ذا أبو بكر الصديق – في وقاره وحساسيته وطيب نفسه – يلذعه الألم، وهو يرمى في عرضه، في ابنته زوج محمد صاحبه الذي يحبه ويطمئن إليه، ونبيه الذي يؤمن به ويصدقه تصديق القلب المتصل، لا يطلب دليلا من خارجه، وإذا الألم يفيض على لسانه، وهو الصابر المحتسب القوي على الألم، فيقول: والله ما رمينا بهذا في جاهلية، أفنرضى به في الإسلام؟ وهي كلمة تحمل من المرارة ما تحمل، حتى إذا قالت له ابنته المريضة المعذبة: أجب عني رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في مرارة هامدة: والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم!

وأم رومان – زوج الصديق رضي الله عنهما – وهي تتماسك أمام ابنتها المفجوعة في كل شيء، المريضة التي تبكي حتى تظن أن البكاء فالق كبدها، فتقول لها: يا بنية! هوني على نفسك الشأن، فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا أكثرن عليها، وعائشة تقول لها: أجيبي عني رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقول كما قال زوجها من قبل: والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

---

(٣٦) رواه البخاري (٤١٤١)، ومسلم (٢٧٧٠).

والرجل المسلم الطيب الطاهر المجاهد في سبيل الله صفوان بن المعطل يرمى بخيانة نبيه في زوجه، فيرمى بذلك في إسلامه، وفي أمانته، وفي شرفه، وفي حميته، وفي كل ما يعتز به صحابي، وهو من ذلك كله بريء، وهو يفاجأ بالاتهام الظالم وقلبه بريء من تصوره، فيقول: سبحان الله! والله ما كشفت كتف أنثى قط.

ثم ها هو ذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو رسول الله، وهو في الذروة من بني هاشم، ها هو ذا يرمى في بيته، وفي من؟ في عائشة التي حلت من قلبه في مكان الابنة والزوجه والحبيبة، وها هو ذا يرمى في طهارة فراشه وهو الطاهر الذي تفيض منه الطهارة، وها هو ذا يرمي في صيانة حرمته وهو القائم على الحرمات في أمته، وها هو ذا يرمى في حياطة ربه له وهو الرسول المعصوم من كل سوء.

ويرمى في كل ما يعتز به عربي وكل ما يعتز به نبي، ها هو ذا يرمى في هذا كله، ويتحدث الناس به في المدينة شهرا كاملا، فلا يملك أن يضع لهذا كله حداً، والله يريد لحكمة يراها أن يدع هذا الأمر شهرا كاملا لا يبين فيه بياناً، ومحمد الإنسان يعاني ما يعانيه الإنسان في هذا الموقف الأليم، يعاني من العار، ويعاني فجيعة القلب، ويعاني فوق ذلك الوحشة المؤرقة، الوحشة من نور الله الذي اعتاد أن ينير له الطريق، والشك يعمل في قلبه – مع وجود القرائن الكثيرة على براءة أهله، ولكنه لا يطمئن نهائيا إلى هذه القرائن – والفرية تفوح في المدينة، وقلبه الإنساني المحب لزوجه الصغيرة يتعذب بالشك، فلا يملك أن يطرد الشك لأنه في النهاية بشر ينفعل في هذا انفعالات البشر، وزوج لا يطيق أن يمس فراشه.

وعندما تصل الآلام إلى ذروتها على هذا النحو، يتنزل القرآن ببراءة عائشة الصديقة الطاهرة، وبراءة بيت النبوة الطيب الرفيع، ويكشف المنافقين الذين حاكوا هذا الإفك، ويرسم الطريق المستقيم للجماعة المسلمة في مواجهة مثل هذا الشأن العظيم.

* * *

## الإغراء بالمال والجاه

الإغراء بالمال والجاه سلاح عظيم له تأثير كبير على كثير من الناس، يمسي أحدهم مؤمناً ويصبح كافراً، ويصبح مؤمناً ويمسي كافراً، يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل.

وانظر إلى سحرة فرعون كيف كانوا قبل إيمانهم من أشد الناس حرصاً على المال والجاه ((وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ * قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ)) [الأعراف:١١٣-١١٤].

ولشدة ما عانى موسى عليه السلام من تأثير أموال فرعون وقارون وملئهما في الصد عن سبيل الله تعالى وإغواء الناس حتى يظلوا على الكفر والعناد لأجل ذلك كانت لموسى عليه السلام دعوة ضارعة إلى ربه: ((وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ)) [يونس:٨٨].

ولقد حاول كفار قريش إغراء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمال والجاه والملك فما كان رده إلا أن قال: **(يا عم! والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه)**[٣٧].

### قصة عبد الله بن حذافة:

(ذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة عبد الله بن حذافة السهمي أحد الصحابة أنه أسرته الروم فجاؤوا به إلى ملكهم فقال له: تنصر وأنا أشركك في ملكي وأزوجك ابنتي. فقال له: لو أعطيتني جميع ما تملك وجميع ما تملكه العرب على أن أرجع عن دين محمد صلى الله عليه وسلم طرفة عين ما فعلت. فقال: إذا أقتلك فقال: أنت وذاك قال: فأمر به فصلب وأمر الرماة فرموه قريبا من يديه ورجليه وهو يعرض عليه دين النصرانية فيأبى، ثم أمر به

(٣٧) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (١٠١/٢)، وسيرة ابن إسحاق (١٣٥/٢).

فأنزل، ثم أمر بقدر -وفي رواية ببقرة من نحاس- فأحميت، وجاء بأسير من المسلمين فألقاه وهو ينظر فإذا هو عظام تلوح، وعرض عليه فأبى فأمر به أن يلقى فيها فرفع في البكرة ليلقى فيها فبكى فطمع فيه ودعاه فقال: إنما بكيت لأن نفسي إنما هي نفس واحدة تلقى في هذه القدر الساعة في الله، فأحببت أن يكون لي بعدد كل شعرة في جسدي نفس تعذب هذا العذاب في الله.

ثم سجنه ومنع منه الطعام والشراب أياما ثم أرسل إليه بخمر ولحم خنزير فلم يقربه، ثم استدعاه فقال: ما منعك أن تأكل؟ فقال: أما إنه قد حل لي ولكن لم أكن لأشمتك بي. فقال له الملك: فقبل رأسي وأنا أطلقك. فقال: وتطلق معي جميع أسارى المسلمين؟ قال: نعم. فقبل رأسه فأطلقه وأطلق معه جميع أسارى المسلمين عنده، فلما رجع قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: حق على كل مسلم أن يقبل رأس عبد الله بن حذافة وأنا أبدأ. فقام فقبل رأسه رضي الله عنهما)[٣٨].

* * *

(٣٨) نقلاً عن ابن كثير في التفسير (٢/٥٨٩).

## كيف انتصر الأخيار؟

سؤال يدور في ذهن من يقرأ أو يسمع عن أولئك الأبطال الذين بحثوا بصدق وإخلاص عن الحق ثم اتبعوه بصدق وإخلاص رغم الصعوبات التي واجهتهم: كيف انتصر أولئك؟ كيف تغلبوا على النفس الأمار بالسوء وعلى الشيطان والهوى وعلى ما يواجهونه في مجتمعاتهم؟

هناك عوامل كثيرة جعلت أولئك الأبطال يختارون الحق على الباطل، ويقوون على مواجهة كل التحديات، ومن أهم تلك العوامل ما يلي:

### أولاً: عشق الحقيقة:

خلق الله النفوس أصنافاً متعددة ومعادن متباينة، وإن خير هذه النفوس وأطيبها عنصراً وأنفسها معدناً تلك التي لا تقر على باطل، ولا تصبر على البقاء عليه طرفة عين، وترى الحق أحب إليها من الهواء الذي تتنفسه والماء الذي لا تعيش بدونه.

إن تلك النفوس -بحق- لهي الجديرة باسم الإنسان دون سواها ممن أركسته شهوة بطنه وفرجه فانحط إلى أدنى من رتبة الحيوان.

غير أن تلك النفوس النبيلة أشد ندرة بالنسبة لسائر النفوس من الكبريت الأحمر، مما يؤدي إلى معاناة شديدة لأولئك الأفذاذ الذين يحملون بين أضلعهم تلك النفوس الطاهرة العظيمة الشغوفة دوماً بالحق، والتي لا تقبل المساومة عليه بأي عرض من أعراض الدنيا، ولا يحجبها عن طلبه ترغيب ولا ترهيب، ولا استهزاء ولا إرهاب ولا نفي ولا اغتراب.

وسوف يظل الباطل وهيلمانه وضجيجه هين القيمة صغير المقدار ما داموا يعيشون على هذه الأرض.

يقول ابن الوزير الصنعاني:

«إن الحق في مثل هذه الأعصار قلما يعرفه إلا واحد، وإذا عظم المطلوب قل المساعد؛ فإن البدع قد كثرت، وكثرت الدعاة إليها والتعويل عليها، وطالب الحق اليوم شبيه بطلابه

في أيام الفترة، وهم سلمان الفارسي، وزيد بن عمرو بن نفيل وأضرابهما رحمهما الله تعالى، فإنهم قدوة لطالب الحق، وفيهم له أعظم أسوة، فإنهم لما حرصوا على الحق وبذلوا الجهد في طلبه بلغهم الله إليه، وأوقفهم عليه، وفازوا من بين العوالم الجمة، فكم أدرك الحق طالبه في زمن الفترة، وكم عمي عنه المطلوب له في زمن النبوة! فاعتبروا بذلك، واقتدوا بأولئك، فإن الحق مازال مصوناً عزيزاً نفيساً كريماً، لا ينال مع الإضراب عن طلبه وعدم التشوف والتشوق إلى سببه، ولا يهجم على المبطلين المعرضين، ولا يفاجئ أشباه الأنعام الغافلين، ولو كان كذلك ما كان على وجه الأرض مبطل ولا جاهل، ولا بطال ولا غافل»[٣٩].

## نماذج لأولئك الأبطال:

### ١- زيد بن عمرو بن نفيل:

قال الإمام الذهبي رحمه الله: (كان زيد بن عمرو ممن فر إلى الله من عبادة الأصنام، وساح في أرض الشام يتطلب الدين القيم، فرأى النصارى واليهود فكره دينهم، وقال: اللهم! إني على دين إبراهيم. ولكن لم يظفر بشريعة إبراهيم عليه السلام كما ينبغي، ولا رأى من يوقفه عليها، وهو من أهل النجاة، فقد شهد له النبي صلى الله عليه وسلم بأنه (يبعث أمة وحده)[٤٠]، وهو ابن عم الإمام عمر بن الخطاب، رأى النبي صلى الله عليه وسلم ولم يعش حتى بعث.

وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنه: (إن زيد بن عمرو بن نفيل خرج إلى الشام يسأل عن الدين ويتبعه، فلقي عالماً من اليهود فسأله عن دينهم فقال: إني لعلي أن أدين دينكم فأخبرني. فقال: لا تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله. قال زيد: ما أفر إلا من غضب الله، ولا أحمل من غضب الله شيئاً أبداً، وأنّى أستطيعه؟! فهل تدلني على غيره؟ قال: ما أعلمه إلا أن يكون حنيفاً. قال زيد: وما الحنيف؟ قال: دين إبراهيم، لم يكن يهودياً ولا نصرانياً ولا يعبد إلا الله. فخرج زيد فلقي عالماً من النصارى فذكر مثله، فقال: لن تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من لعنة الله، قال: ما أفر إلا من لعنة الله، ولا أحمل

(٣٩) إيثار الحق على الخلق (٢٧/١).

(٤٠) رواه الحاكم (٤٩٥٦)، وأبو يعلى (١٣٧/١٣)(٧٢١٢)، والبزار (١٦٥/٤) (١٣٣١).

من لعنة الله ولا من غضبه شيئاً أبداً، وأنّى أستطيع؟! فهل تدلني على غيره؟ قال: ما أعلمه إلا أن يكون حنيفاً. قال: وما الحنيف؟ قال: دين إبراهيم، لم يكن يهودياً ولا نصرانياً ولا يعبد إلا الله. فلما رأى زيد قولهم في إبراهيم عليه السلام خرج، فلما برز رفع يديه فقال: اللهم! إني أشهد أني على دين إبراهيم)[٤١].

## ٢- سلمان الفارسي رضي الله عنه:

ترك أباه وأهله وفارق الأوطان وتغرب، وأنفق كل ما عنده من المال لأجل أن يسافر إلى المكان الذي فيه النبي صلى الله عليه وسلم، وظُلِمَ وبِيْعَ عبداً فاشتغل في الرق سنوات طويلة حتى وصل إلى الحق وعرفه، ففي صحيح البخاري عن سلمان الفارسي (أنه تداوله بضعة عشر من رب إلى رب..)[٤٢]، وتفيض كتب السيرة بقصة إسلام ذلك الصحابي الباحث عن الحق[٤٣].

**وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام**

### نشأته:

ثبت عنه رضي الله عنه أنه قال عن نفسه: (أنا من رامهرمز)[٤٤]، وقال أيضاً: (كنت ممن ولد برامهرمز وبها نشأت، وأما أبي فمن أصبهان..)[٤٥] وكان أبوه مجوسياً له في المجوسية قدم، حتى صار دهقان قريته -أي: كبير أهل القرية- وجعل ابنه يجتهد في المجوسية حتى كان قَطِن -بفتح القاف وكسر الطاء- النار، أي: الخادم الذي يوقدها.

وذات يوم أرسله والده إلى ضيعة له يتولى شئونها، فمر بكنيسة وسمع أصوات المصلين بها فأعجبته صلاتهم، وقال: هذا والله خير من الدين الذي نحن عليه. ثم عاد إلى أبيه عشاءً

---

(٤١) رواه البخاري (٣٨٢٨).

(٤٢) رواه البخاري (٣٩٤٦).

(٤٣) انظر: قصة إسلام سلمان الفارسي كاملة في: مسند أحمد (٢٣٧٨٨)، والطبراني في الكبير (٦٠٦٥)، ومسند البزار (٢٥٠٠)، والسيرة النبوية لابن هشام (٤١/٢، ٤٢).

(٤٤) رواه البخاري (٣٩٤٧).

(٤٥) سير أعلام النبلاء للذهبي (٥١٥/١).

دون أن يعمل شيئاً في الضيعة، وقص عليه ما حدث، فخاف الرجل على ولده أن يترك دين آبائه، فجعل في رجله قيداً وحبسه في بيته.

## صلته بالنصرانية:

لكن العقل الباحث عن الحقيقة يرفض القيد حسياً كان أو معنوياً، ويتحين الفرص، ويذهب مع وفد من أهل الشام، ويسأل عن أفضل أهل هذا الدين علماً، فدلوه على أسقف في كنيسة، فجاءه يتعلم منه ويصلي معه، ويشاء الله أن يكون هذا الأسقف ممن أشار إليهم القرآن الكريم في قوله تعالى: ((يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ)) [التوبة:٣٤].

يقول سلمان: (فدخلت معه، فكان رجل سوء، يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها، فإذا جمعوا له شيئاً كنزه لنفسه ولم يعطه المساكين، حتى جمع سبع قلال من ذهب وورق، وأبغضته بغضاً شديداً لما رأيته يصنع..)، ويموت هذا الراهب، ويخلفه آخر على النقيض منه، زاهد في الدنيا، راغب في الآخرة، دائب في العبادة، ويظل معه سلمان ويحبه حباً شديداً، ويقيم معه زماناً، حتى تحضره الوفاة، فاستشاره سلمان بمن يلحق بعده فأوصى به إلى رجل من أهل نصيبين.

ذهب سلمان إلى نصيبين فوجد صاحبه خير رجل، وما لبث أن نزل به الموت، فأوصى به إلي رجل (عمورية) من أرض الروم، وأقام عنده سلمان، واستقر به المقام، واكتسب بقرات وغنماً يرعى بها، ومرة أخرى نزل بالرجل أمر الله، فسأله سلمان: إلي من توصي بي؟ وبم تأمرني؟ قال صاحب (عمورية): أي بني! والله ما أعلم أنه أصبح أحد علي مثل ما كنا عليه من الناس آمرك أن تأتيه، ولكنه قد أظل زمان نبي مبعوث بدين إبراهيم، يخرج بأرض العرب مهاجراً إلى أرض بين حرتين بينهما نخل به علامات لا تخفى، يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة، بين كتفيه خاتم النبوة، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل.

## وصوله إلى يثرب:

ومات الرجل، ومكث سلمان بعمورية ما شاء الله أن يمكث، ثم مر به نفر من تجار العرب، فقال لهم: احملوني إلى أرض العرب وأعطيكم بقراتي هذه وغنمي هذه، وحمله التجار حتى إذا بلغوا وادي القرى قريباً من المدينة ظلموه فباعوه عبداً لرجل يهودي، ويشاء الله أن يأتي ابن عم لهذا اليهودي من بني قريظة فيبتاع سلمان منه ويحمله إلى يثرب.

يقول سلمان: (فوالله ما هو إلا أن رأيتها فعرفتها بصفة صاحبي لها، فأقمت بها، وبُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأقام بمكة ما أقام ولا أسمع له بذكر مما أنا فيه من شغل الرق، ثم هاجر إلى المدينة، فوالله إني لفي رأس عذق (نخلة) لسيدي أعمل فيه بعض العمل وسيدي جالس تحتي إذ أقبل ابن عم له حتى وقف عليه وقال: يا فلان! قاتل الله بني قيلة – وهم الأنصار نسبة إلي أمهم قيلة بنت كاهل–! والله إنهم لمجتمعون الآن بقباء على رجل قدم من مكة اليوم يزعمون أنه نبي!!

فلما سمعتها أخذتني الرعدة حتى ظننت أني ساقط على سيدي، فنزلت عن النخلة، فجعلت أقول لابن عمه: ماذا تقول؟ ماذا تقول؟ فغضب سيدي، فلكمني لكمة شديدة ثم قال: ما لك ولهذا؟ أقبل على عملك.

## البحث عن البشارات:

هنا تبدأ مرحلة تحقيق وتثبت في حياة سلمان الدينية، ويراوده الأمل في قرب الوصول، ويحاول أن يستكشف الوصايا الثلاث التي حملها عن أسقف عمورية.

يقول سلمان: (وقد كان عندي شيء قد جمعته، فلما أمسيت أخذته ثم ذهبت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بقباء، فدخلت عليه فقلت له: إنه قد بلغني أنك رجل صالح، ومعك أصحاب غرباء ذوو حاجة، وهذا شيء كان عندي للصدقة، فرأيتكم أحق به من غيركم.

فقربته إليه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: (كلوا) وأمسك يده فلم يأكل، فقلت في نفسي: هذه واحدة.

ثم انصرفتُ عنه فجمعت شيئاً، وتحول رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، ثم

جئته فقلت له: إني قد رأيتك لا تأكل الصدقة، وهذه هدية أكرمتك بها.

فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم منها وأمر أصحابه فأكلوا معه، فقلت في نفسي: هاتان ثنتان.

ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم ببقيع الغرقد وقد تبع جنازة رجل من أصحابه وعليه شملتان وهو جالس في أصحابه فسلمت عليه، ثم استدبرته انظر إلى ظهره هل أرى الخاتم الذي وصف لي صاحبي؟[٤٦].

فلما رآني رسول الله صلى الله عليه وسلم استدبرته عرف أني أستثبت في شيء وُصف لي، فألقى رداءه عن ظهره، فنظرت إلى الخاتم فعرفته، فأكببت عليه أقبله وأبكي.

فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: تحول، فتحولت بين يديه فقصصت عليه حديثي.

شغل سلمان الرق حتى فاته مع الرسول الكريم غزوة بدر وأحد، فما الحل إذن؟

كيف يتخلص من الرق ويخلص للإسلام ويصفو قلبه من هموم الحياة المادية؟

لقد أشار عليه النبي صلى الله عليه وسلم أن يكاتب سيده، فكاتبه على ثلاثمائة نخلة يغرسها له وأربعين أوقيةً من ذهب، وشارك المسلمون في أداء هذا الدين عن سلمان، فأحضروا له النخل، وحفروا معه أماكنها، وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضعها بيده الشريفة، وعُتق سلمان.

وكانت أول مشاهده غزوة الأحزاب، وقد أشار على المسلمين فيها بحفر الخندق حول المدينة، وحين قسم الرسول حفر الخندق بين الصحابة والأنصار قال الأنصار: سلمان منا. وقال المهاجرون: سلمان منا. فقال عليه الصلاة والسلام: (**سلمان منا أهل البيت**)[٤٧].

(٤٦) ذكر الإمام السهيلي مجموعة روايات في خاتم النبوة، منها: أنه كان كأثر المحجم، يعني أثر المحجمة القابضة على اللحم حتى يكون ناتئاً، وفي الخبر أنه كان حوله خيلان فيها شعرات سود. وقيل: كالتفاحة أو بيضة الحمامة أو ركبة العنزة. ويقع الخاتم بين كتفي النبي صلى الله عليه وسلم عند أعلى منقطع الغضروف في الكتف. الروض الأنف (٢٠٦/١).

(٤٧) رواه الحاكم (٦٥٣٩، ٦٥٤١)، والطبراني في الكبير (٦٠٤٠)، وانظر: السيرة النبوية لابن هشام (١٨٢/٤).

### ٣- آسية بنت مزاحم:

إنها النموذج الذي يقصه علينا ربنا تبارك وتعالى في القرآن الكريم بقوله: ((وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)) [التحريم:١١].

وروى ابن جرير بسنده عن سليمان التيمي: (كانت امرأة فرعون تعذب في الشمس، فإذا انصرف عنها أظلتها الملائكة بأجنحتها، وكانت ترى بيتها في الجنة)[٤٨].

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون، ومريم بنت عمران، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام**)[٤٩].

وروى ابن جرير أيضاً بسنده: (كانت امرأة فرعون تسأل: من غلب؟ فيقال: غلب موسى وهارون. فتقول: آمنت برب موسى وهارون، فأرسل إليها فرعون فقال: انظروا أعظم صخرة تجدونها، فإن مضت على قولها فألقوها عليها، وإن رجعت عن قولها فهي امرأتي، فلما أتوها رفعت بصرها إلى السماء فأبصرت بيتها في الجنة فمضت على قولها، فانتزع الله روحها، وألقيت الصخرة على جسد ليس فيه روح)[٥٠].

### ٤- الإمام المجتهد محمد بن إبراهيم الوزير (٧٧٥-٨٤٠هـ):

وممن أوذي في الله وصبر الإمام العظيم محمد بن إبراهيم الوزير، الذي عاش في أواخر القرن الثامن وأوائل القرن التاسع، وقد جدد هذا الإمام العظيم مذهب السلف الصالح في بلده اليمن، وشيد أركانه، وأوضح معالمه مما جعل كتبه مرجعاً لأهل السنة وعلماء السلفية في مختلف بلاد العالم الإسلامي، رغم ما لاقى في سبيل ذلك من محن وأذى، قابلها بالصبر والاحتساب وسعة الصدر والإصرار على التمسك بالحق الذي آمن به.

---

(٤٨) تفسير الطبري (١٧١/٢٨).

(٤٩) رواه البخاري (٣٤١١).

(٥٠) تفسير الطبري (١٧١/٢٨).

وقد كتب الله له النجاح في دعوته، وأثمرت جهوده بإنشاء مدرسة علمية سلفية راسخة القواعد طيبة الثمار، ما زال سبيلها معموراً إلى الآن.

يقول الإمام المجتهد محمد بن إبراهيم الوزير رحمه الله: «وسبب إيثاري لمنهج أهل السنة وسلوكي تلك المسالك أنّ أول ما قرع سمعي، ورسخ في طبعي وجوب النّظر، والقول بأنّ من قلد في الاعتقاد فقد كفر، فاستغرقت في ذلك حدّة نظري، وباكورة عمري، وما زلت أرى كلّ فرقة من المتكلمين تداوي أقوالاً مريضة، وتقوّي أجنحة مهيضة، فلم أحصل على طائل، وتمثلت بقول القائل:

**كلٌّ يداوي سقيماً من مقالته فمن لنا بصحيح ما به سقم**

فرجعت إلى كتاب الله، وسنة رسول الله، وقلت: لا بدّ أن يكون فيها براهين وردود على مخالفي الإسلام، وتعليم وإرشاد من الله لمن اتبع الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام؛ فتدبّرت ذلك، فوجدت الشّفاء كلّه، دقّه وجلّه، وانشرح صدري، وصلح أمري، وزال ما كنت به مبتلى، وأنشدت متمثلاً:

**فألقت عصاها واستقرّ بها النّوى كما قرّ عيناً بالإياب المسافر**

### ثانياً: الانجذاب للقرآن:

من أهم العوامل الحاسمة التي جعلت كثيراً من الناشئين على البدع والضلالات يرجعون عنها إلى السنة وإلى الحق: أنهم أقبلوا على القرآن قراءةً وتدبراً، وأحبوه وناصروا ما فيه على الأباطيل التي نشئوا عليها.

وأثناء مواجهتهم للباطل وجنوده وحزبه ومعركته كان القرآن أنيسهم وسلوتهم وزادهم الروحي والفكري ومثبتهم.

### قصة عمر:

كان القرآن العامل الحاسم، أو أحد الوعامل الحاسمة في إيمان من آمنوا أوائل أيام الدعوة، يوم لم يكن لمحمد صلى الله عليه وسلم حول ولا طول، ويوم لم يكن للإسلام قوة

ولا منعة.

وقد روى ابن إسحاق أن عمر رضي الله عنه قال: (كنت للإسلام مباعداً، وكنت صاحب خمر في الجاهلية أحبها وأشربها، وكان لنا مجلس يجتمع فيه رجال من قريش، فخرجت أريد جلسائي أولئك فلم أجد منهم أحداً، فقلت: لو أنني جئت فلاناً الخمار؟ وخرجت فجئته فلم أجده فقلت: لو أنني جئت الكعبة فطفت بها سبعاً أو سبعين. فجئت المسجد أريد أن أطوف بالكعبة فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي، وكان إذا صلى استقبل الشام، وجعل الكعبة بينه وبين الشام، واتخذ مكانه بين الركنين الركن الأسود، والركن اليماني، فقلت حين رأيته: والله لو أني استمعت لمحمد الليلة حتى أسمع ما يقول! وقام بنفسي أنني لو دنوت منه أسمع لأروعنه، فجئت من قبل الحجر، فدخلت تحت ثيابها ما بيني وبينه إلا ثياب الكعبة، فلما سمعت القرآن رق له قلبي فبكيت ودخلني الإسلام)[٥١].

وهناك رواية لابن إسحاق ملخصها[٥٢]: أن عمر خرج متوشحاً بسيفه يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورهطاً من أصحابه قد اجتمعوا في بيت عند الصفا، وهم قريب من أربعين بين رجال ونساء.

وفي الطريق لقيه نعيم بن عبد الله فسأله عن وجهته، فأخبره بغرضه، فحذره بني عبد مناف، ودعاه أن يرجع إلى بعض أهله ختنه سعيد بن زيد بن عمرو، وأخته فاطمة بنت الخطاب زوج سعيد، فقد صبأا عن دينهما.

فذهب إليهما عمر وخباب يتلو عليهما القرآن، فاقتحم الباب وبطش بختنه سعيد وشج أخته فاطمة، ثم أخذ الصحيفة بعد حوار، وفيها سورة طه، فلما قرأ صدراً منها قال: (ما أحسن هذا الكلام وأكرمه) ثم ذهب إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأعلن إسلامه، فكبر النبي تكبيرة عرف أهل البيت من أصحابه أن عمر قد أسلم.

## قصة الطفيل بن عمرو الدوسي:

(٥١) السيرة النبوية لابن هشام (٢/١٩١).

(٥٢) السيرة النبوية لابن هشام (٢/١٩٠،١٨٨).

كان الطفيل بن عمرو الدوسي يحدث أنه قدم مكة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بها، فمشى إليه رجال من قريش، وكان الطفيل رجلا شريفا شاعرا لبيبا، فقالوا له: يا طفيل! إنك قدمت بلادنا، وهذا الرجل الذي بين أظهرنا قد أعضل بنا، وقد فرق جماعتنا وشتت أمرنا، وإنما قوله كالسحر يفرق بين الرجل وبين أبيه، وبين الرجل وبين أخيه، وبين الرجل وبين زوجته، وإنا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا، فلا تكلمنَّه ولا تسمعنّ منه شيئا. قال: فوالله ما زالوا بي حتى أجمعت أن لا أسمع منه شيئا ولا أكلمه، حتى حشوت في أذني حين غدوت إلى المسجد كرسفا فَرقا من أن يبلغني شيء من قوله وأنا لا أريد أن أسمعه.

قال: فغدوت إلى المسجد فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي عند الكعبة، قال: فقمت منه قريبا، فأبى الله إلا أن يُسمعني بعض قوله، قال: فسمعت كلاماً حسناً، قال: فقلت في نفسي: واثُكْل أمي! والله إني لرجل لبيب شاعر ما يخفى علي الحسن من القبيح، فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول، فإن كان الذي يأتي به حسنا قبلته، وإن كان قبيحا تركته. قال: فمكثت حتى انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيته فاتبعته، حتى إذا دخل بيته دخلت عليه، فقلت: يا محمد! إن قومك قد قالوا لي كذا وكذا. للذي قالوا، فوالله ما برحوا يخوفونني أمرك حتى سددت أذني بكرسف لئلا أسمع قولك، ثم أبى الله إلا أن يُسمعني قولك، فسمعته قولا حسنا، فاعرض علي أمرك. قال: فعرض علي رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام، وتلا علي القرآن، فلا والله ما سمعت قولا قط أحسن منه، ولا أمرا أعدل منه، قال: فأسلمت وشهدت شهادة الحق(٥٣).

## ثالثاً: الاستعداد للمجاهدة والتضحية من أجل الحق الذي يحملونه

من مزايا الرجال الحقيقيين أنهم يكونون مستعدين لتحمل الأذى والمشاق والتضحية من أجل ما يحملونه من مبادئ، أما أنصاف الرجال فهم أولئك الذين وصفهم الله بقوله: ((وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ)) [العنكبوت:١٠]، وبقوله: ((وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ

(٥٣) نقلاً عن السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ٢٢٦، ٢٢٧).

وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ)) [الحج:١١]، وبقوله: ((إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا)) [النساء:٩٧].

## رابعاً: القلب السليم:

ومن العوامل التي قادت أولئك الأفذاذ إلى التمسك بالحق والثبات عليه صحة قلوبهم، فالقلب الصحيح يؤثر النافع الشافي على الضار المؤذي، والقلب المريض بضد ذلك.

يقول ابن القيم رحمه الله: (ومن علامات صحة القلب أنه لا يزال يضرب على صاحبه حتى ينيب إلى الله ويخبت إليه ويتعلق به تعلق المحب المضطر إلى محبوبه الذي لا حياة له ولا فلاح ولا نعيم ولا سرور إلا برضاه وقربه والأنس به فبه يطمئن، وإليه يسكن، وإليه يأوي، وبه يفرح، وعليه يتوكل، وبه يثق، وإياه يرجو، وله يخاف، فذكره قوته وغذاؤه، ومحبته والشوق إليه حياته ونعيمه ولذته وسروره، والالتفاف إلى غيره والتعلق بسواه داؤه والرجوع اليه دواؤه، فإذا حصل له ربه سكن إليه واطمأن به وزال ذلك الاضطراب والقلق وانسدت تلك الفاقة...)[٥٤].

ثم قال: (قال بعض العارفين: مساكين أهل الدنيا خرجوا من الدنيا وما ذاقوا أطيب ما فيها. قيل: وما أطيب ما فيها؟ قال: محبة الله والأنس به والشوق إلى لقائه والتنعم بذكره وطاعته.

وقال آخر: إنه ليمر بي أوقات أقول فيها إن كان أهل الجنة في مثل هذا إنهم لفي عيش طيب.

وقال آخر: والله ما طابت الدنيا إلا بمحبته وطاعته، ولا الجنة إلا برؤيته ومشاهدته. وقال أبو الحسين الوراق: حياة القلب في ذكر الحي الذي لا يموت، والعيش الهني الحياة مع

---

(٥٤) إغاثة اللهفان (٧١/١).

الله تعالى لا غير)[٥٥].

## خامساً: عدم الاستماع لوساوس الشيطان:

من تأمل القرآن والسنة وجد اعتناءهما بذكر الشيطان وكيده ومحاربته أكثر من ذكر النفس، فإن النفس المذمومة ذكرت في قوله: ((إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ)) [يوسف:٥٣]، واللوامة في قوله: ((وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ)) [القيامة:٢]، وذكرت النفس المذمومة في قوله: ((وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى)) [النازعات:٤٠]، وأما الشيطان فذكر في عدة مواضع، وأفردت له سورة تامة، فتحذير الرب تعالى لعباده منه جاء أكثر من تحذيره من النفس، وهذا هو الذي لا ينبغي غيره؛ فإن شر النفس وفسادها ينشأ من وسوسته، فهي مركبه وموضع شرعه ومحل طاعته، وقد أمر الله سبحانه بالاستعاذة منه عند قراءة القرآن وغير ذلك وهذا لشدة الحاجة إلى التعوذ منه، ولم يأمر بالاستعاذة من النفس في موضع واحد، وإنما جاءت الاستعاذة من شرها في خطبة الحاجة في قوله صلى الله عليه وسلم: (**ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا**)[٥٦].

ومن الآيات التي فيها تحذير الله لعباده من الشيطان قوله تعالى: ((إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ)) [فاطر:٦]، وقوله تعالى: ((يَابَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ)) [الأعراف:٢٧].

وقوله تعالى: ((وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ)) [الزخرف:٣٦]، وقوله تعالى: ((وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ)) [الأنعام:١١٢]. وقال تعالى إخباراً عن عدوه إبليس: ((قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ

---

(٥٥) إغاثة اللهفان (٧٢/١).

(٥٦) رواه أبو داود (١٠٩٧)، والترمذي (١١٠٥)، والنسائي (١٤٠٤)، وابن ماجه (١٨٩٢).

وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ)) [الأعراف:١٧]، وقال تعالى: ((لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا * وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا * يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا)) [النساء:١١٩-١٢٠]، وقال: ((الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ)) [البقرة:٢٦٨].

وفي سنن النسائي ومسند أحمد وصحيح ابن حبان عن سبرة بن أبي فاكه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (**إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه، فقعد له بطريق الإسلام فقال: تسلم وتذر دينك ودين آبائك وآباء أبيك فعصاه فأسلم ثم قعد له بطريق الهجرة فقال تهاجر وتدع أرضك وسماءك وإنما مثل المهاجر كمثل الفرس في الطول؟! فعصاه فهاجر، ثم قعد له بطريق الجهاد فقال: تجاهد فهو جهد النفس والمال فتقاتل فتقتل فتنكح المرأة ويقسم المال؟! فعصاه فجاهد، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فمن فعل ذلك كان حقا على الله عز وجل أن يدخله الجنة، ومن قتل كان حقاً على الله عز وجل أن يدخله الجنة، وإن غرق كان حقاً على الله أن يدخله الجنة، أو وقصته دابته كان حقاً على الله أن يدخله الجنة**)[٥٧].

## سادساً: مغالبة الفتن:

إن الإيمان أمانة الله في الأرض، لا يحملها إلا من هم لها أهل وفيهم على حملها قدرة، وفي قلوبهم تجرد لها وإخلاص، الذين يؤثرونها على الراحة والدعة، وعلى الأمن والسلامة، وعلى المتاع والإغراء، وإنها لأمانة الخلافة في الأرض، وقيادة الناس إلى طريق الله، وتحقيق كلمته في عالم الحياة، فهي أمانة كريمة، وهي أمانة ثقيلة، وهي من أمر الله يضطلع بها الناس، ومن ثم تحتاج إلى طراز خاص يصبر على الابتلاء والفتن.

فمن الفتن أن يتعرض المؤمن للأذى من الباطل وأهله ثم لا يجد النصير الذي يسانده ويدفع عنه، ولا يملك النصرة لنفسه ولا المنعة، ولا يجد القوة التي يواجه بها الطغيان، وهذه

(٥٧) رواه النسائي(٣١٣٤)، وأحمد (١٦٠٠٠)، وابن حبان (٤٥٩٣)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢/٥٠).

هي الصورة البارزة للفتنة المعهودة في الذهن حين تذكر الفتنة، ولكنها ليست أعنف صور الفتنة، فهناك فتن كثيرة في صور شتى ربما كانت أمر وأدهى.

هناك فتنة الأهل والأحبة الذين يخشى عليهم أن يصيبهم الأذى بسببه وهو لا يملك عنهم دفعاً، وقد يهتفون به ليسالم أو ليستسلم، وينادونه باسم الحب والقرابة واتقاء الله في الرحم التي يعرضها للأذى أو الهلاك.

وهناك فتنة إقبال الدنيا على المبطلين، ورؤية الناس لهم ناجحين مرموقين، تهتف لهم الدنيا، وتصفق لهم الجماهير، وتتحطم في طريقهم العوائق، وتصاغ لهم الأمجاد، وتصفو لهم الحياة، وهو مهمل منكر لا يحس به أحد، ولا يحامي عنه أحد، ولا يشعر بقيمة الحق الذي معه إلا القليلون من أمثاله الذين لا يملكون من أمر الحياة شيئا.

وهنالك فتنة الغربة في البيئة والاستيحاش بالعقيدة، حين ينظر المؤمن فيرى كل ما حوله وكل من حوله غارقا في تيار الضلالة، وهو وحده موحش غريب طريد.

وهناك فتنة من نوع آخر قد نراها بارزة في هذه الأيام، فتنة أن يجد المؤمن أمماً ودولاً غارقة في الرذيلة، وهي مع ذلك راقية في مجتمعها، متحضرة في حياتها، يجد الفرد فيها من الرعاية والحماية ما يناسب قيمة الإنسان، ويجدها غنية قوية وهي مشاقة لله.

وهنالك الفتنة الكبرى، أكبر من هذا كله وأعنف، فتنة النفس والشهوة، وجاذبية الأرض وثقلة اللحم والدم والرغبة في المتاع والسلطان، أو في الدعة والاطمئنان، وصعوبة الاستقامة على صراط الإيمان والاستواء على مرتقاه، مع المعوقات والمثبطات في أعماق النفس وفي ملابسات الحياة، وفي منطق البيئة، وفي تصورات أهل الزمان.

فإذا طال الأمد وأبطأ نصر الله كانت الفتنة أشد وأقسى، وكان الابتلاء أشد وأعنف، ولم يثبت إلا من عصم الله، وهؤلاء هم الذين يحققون في أنفسهم حقيقة الإيمان، ويؤتمنون على تلك الأمانة الكبرى، أمانة السماء في الأرض وأمانة الله في ضمير الإنسان.

وما بالله – حاشا لله – أن يعذب المؤمنين بالابتلاء، وأن يؤذيهم بالفتنة، ولكنه الإعداد الحقيقي لتحمل الأمانة، فهي في حاجة إلى إعداد خاص لا يتم إلا بالمعاناة العملية

للمشاق، وبالاستعلاء الحقيقي على الشهوات، وبالصبر الحقيقي على الآلام، وبالثقة الحقيقية في نصر الله وثوابه، على الرغم من طول الفتنة وشدة الابتلاء:

((أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ)) [العنكبوت:٢] ((وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ)) [العنكبوت:٣].

((مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ)) [آل عمران:١٧٩].

((وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ)) [محمد:٣١].

وإنهم ليتسلمون الأمانة وهي عزيزة على نفوسهم بما أدوا لها من غالي الثمن، وبما بذلوا لها من الصبر على المحن، وبما ذاقوا في سبيلها من الآلام والتضحيات، والذي يبذل من دمه وأعصابه، ومن راحته واطمئنانه، ومن رغائبه ولذاته ثم يصبر على الأذى والحرمان، يشعر -ولا شك- بقيمة الأمانة التي بذل فيها ما بذل، فلا يسلمها رخيصة بعد كل هذه التضحيات والآلام.

فأما انتصار الإيمان والحق في النهاية فأمر تكفل به وعد الله، وما يشك مؤمن في وعد الله، فإن أبطأ فلحكمة مقدرة فيها الخير للإيمان وأهله، وليس أحد بأغير على الحق وأهله من الله:

((أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ)) [البقرة:٢١٤].

وحسب المؤمنين الذين تصيبهم الفتنة ويقع عليهم البلاء أن يكونوا هم المختارين من الله ليكونوا أمناء على حق الله، وأن يشهد الله لهم بأن في دينهم صلابة فهو يختارهم للابتلاء.

جاء في الحديث: «**أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الصالحون، ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى**

**الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلابة زيد له في البلاء»**[٥٨].

وأما الذين يفتنون المؤمنين ويعملون السيئات فما هم بمفلتين من عذاب الله ولا ناجين، مهما انتفخ باطلهم وانتفش، وبدا عليه الانتصار والفلاح، وعد الله كذلك وسنته في نهاية المطاف: ((إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ)) [البروج:١٠].

فلا يحسبن مفسد أنه مفلت ولا سابق، ومن يحسب هذا فقد ساء حكمه وفسد تقديره واختل تصوره، فإن الله الذي جعل الابتلاء سنة ليمتحن إيمان المؤمن ويميز بين الصادقين والكاذبين هو الذي جعل أخذ المسيئين سنة لا تتبدل ولا تتخلف ولا تحيد.

## سابعاً: الأنس بالله وعدم الاستيحاش من غربة أهل الخير والصلاح وقلتهم:

روى أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء)**[٥٩].

وجاء عن ابن مسعود رضي الله عنه زيادة في آخره: **(قيل: يا رسول الله! ومن الغرباء؟ قال: النزاع من القبائل)**[٦٠].

وفي رواية: **(قيل: يا رسول الله! ومن الغرباء؟ قال: الذين يصلحون إذا فسد الناس)**[٦١].

وفي رواية: **(إن الدين بدأ غريباً، ويرجع غريباً، فطوبى للغرباء، الذين يصلحون ما أفسد الناس من بعدي من سنتي)**[٦٢].

وفي رواية: **(طوبى للغرباء، قلنا: ومن الغرباء؟ قال: أناس صالحون في أناس سوء كثير، من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم)**[٦٣].

---

(٥٨) رواه أحمد (١٤٨١)، وابن ماجه (٤٠٢٤).

(٥٩) رواه مسلم (١٤٥).

(٦٠) رواه أحمد (٣٧٨٤)، وابن ماجه (٣٩٨٨).

(٦١) رواه أحمد (١٦٧٣٦).

(٦٢) رواه الترمذي (٢٦٣٠).

(٦٣) رواه أحمد (٦٦٥٠، ٧٠٧٢)، والطبراني في الكبير (٨٩٨٦).

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: (فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم ودعا إلى الإسلام لم يستجب له في أول الأمر إلا الواحد بعد الواحد من كل قبيلة، وكان المستجيب له خائفاً من عشيرته وقبيلته، يؤذى غاية الأذى، وينال منه وهو صابر على ذلك في الله عز وجل، وكان المسلمون إذ ذاك مستضعفين، يشردون كل مشرد، ويهربون بدينهم إلى البلاد النائية، كما هاجروا إلى الحبشة مرتين ثم هاجروا إلى المدينة، وكان منهم من يعذب في الله، ومنهم من يقتل، فكان الداخلون في الإسلام حينئذ غرباء)[٦٤].

وبعد أن ذكر حديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي قال فيه: (**بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء**)[٦٥] قال: قوله: (بدأ الإسلام غريباً) يريد به أن الناس كانوا قبل مبعثه على ضلالة عامة، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث عياض بن حمار رضي الله عنه: (**إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب**)[٦٦].

وبعد أن ذكر قوله صلى الله عليه وسلم: (**أناس صالحون في أناس سوء كثير، من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم**) قال: (وفي هذا إشارة إلى قلة عددهم، وقلة المستجيبين لهم والقابلين منهم، وكثرة المخالفين لهم والعاصين لهم)[٦٧].

وأخرج الطبراني من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم: (**المتمسك بسنتي عند فساد أمتي له أجر شهيد**)[٦٨].

* * *

(٦٤) كشف الكربة في وصف أهل الغربة (٣/١).

(٦٥) سبق تخريجه.

(٦٦) رواه مسلم (٢٨٦٥).

(٦٧) كشف الكربة في وصف أهل الغربة (٩/١).

(٦٨) رواه الطبراني في الأوسط (٥٤١٤).

## الصبر

من أهم عوامل الثبات على الحق تحلي النفس بفضيلة من أهم الفضائل وهي فضيلة الصبر.

قال الله تعالى: ((وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ)) [العصر:١-٣].

وقال الله تعالى: ((إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ * وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ * أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ)) [آل عمران:١٤٠-١٤٢].

الصبر مطية لا تكبو، وصارم لا ينبو، وحصن لا يهدم، وحد لا يثلم، الصبر أفضل عدة على الشدة، وأكرم وسيلة لنيل الفضيلة، وأحسن أسلوب لطمأنينة القلوب، الصبر حسن توفيق، وأمارة سعادة، ودليل رشادة، وعنوان إيمان، ونموذج إذعان، الصبر رضا بالقدر، وتحمل للبلاء، وتسليم للجبار، واستجابة لمقدر الأقدار.. الصبر ثبات القلب عند موارد الاضطراب، وحبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع.

**والحادثات إذا أصابك بؤسها فهو الذي أدراك كيف نعيمها**

إذا ادلهمت الأمور، واسودت الحياة، وأظلمت الدنيا؛ فالصبر ضياء.

إذا عظم الجزع، واشتد الخوف، وهيمن القلق فالصبر جلاء.

إذا انسدت المطالب، وعظمت المصائب، وكثرت الرزايا، وزادت البلايا، فالصبر دواء.

إذا نزل المكروه، وحل الأمر المخوف، واحتيج لمصارعة الحتوف فالصبر التجاء.

إذا أصبح الدين في غربة، والإسلام في كربة، وعمت المعاصي، وهيمنت الشهوات، وعظمت الشبهات فالصبر عزاء.

قال تعالى: ((يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ)) [البقرة:١٥٣].

واعلم أن النصر مع الصبر، والفرج مع الكرب، واليسر مع العسر.

بمفتاح عزيمة الصبر تعالج مغاليق الأمور، وعند انسداد الفُرَج تبدو مطالع الفَرَج، ومن يتصبر يصبره الله.

الصبر دليل على عظمة الإرادة، وقوة العزيمة ((وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ)) [الشورى:٤٣].

الصبر حبس النفس عن الجزع والتسخط، وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن التشويش.

الصبر تجرع المرارة من غير تعبس، والرضا بالمكتوب من دون تسخط.

الصبر البعد عن المخالفة، والسكون عند تجرع الغصة، وإظهار الغنى مع حلول الفقر، والوقوف مع البلاء بحسن الأدب، وترك الشكوى، وهو من آكد الدلائل على المحبة، وأصدق البراهين على الإيمان، فهو من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ولا إيمان لمن لا صبر له ((وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ)) [آل عمران:١٤٦].

## الصبر في القرآن الكريم:

الصابرون تفتح لهم الأبواب، ويوفون أجرهم بغير حساب، قال تعالى: ((إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ)) [الزمر:١٠] ويعطون جزاءهم بأحسن أعمالهم، قال جل وعلا: ((مَا عِنْدَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)) [النحل:٩٦]، زفت لهم البشارة فقيل لهم: ((وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ)) [البقرة:١٥٥-١٥٧]، وبشروا بقبول الأعمال الصالحة والحظوظ العظيمة، فقيل عنهم: ((وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ)) [فصلت:٣٥].

الفوز بالمطلوب والنجاة من المرهوب وتمام المنة ودخول الجنة كل ذلك يناله الصابرون ((وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ * سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ)) [الرعد:٢٣-٢٤].

وكفى بالصبر شرفاً أن من أسماء الله جل وعلا (الصبور)، وهو الذي لا يعاجل العصاة بالانتقام.

## وقد ورد الصبر في القرآن الكريم في سياقات عديدة منها:

١- الثناء على أهله، قال تعالى: ((وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ)) [البقرة:١٧٧].

٢- الاستجابة لأمر الله تعالى بالصبر والاستعانة به، قال تعالى: ((يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ)) [البقرة:١٥٣].

٣- الإخبار أن أهل الصبر من أهل العزائم، قال تعالى: ((وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ)) [الشورى:٤٣].

٤- أن صاحبه يورث الإمامة، قال تعالى: ((وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا)) [السجدة:٢٤].

وقد قيل: الصبر لله غناء، وبالله بقاء، وفي الله بلاء، ومع الله وفاء، وعن الله جفاء، والصبر على الطلب عنوان الظفر، وفي المحن عنوان الفرج.

والصابر اليوم عن المعصية يتلظى بنار حامية، وتعرض له في كل يوم داهية، يهرب من المعصية فتلاحقه، يتحصن في بيته فتتسلق جدران البيت وتدلف إليه، يفر إلى البر يجدها أمامه، يلوذ بالبحر فإذا بها تستقبله، يحلق في الجو فتقول له: هيت لك. إن استنقذ منها نفسه عجز عن استنقاذ أبنائه وذويه، فلا حول ولا قوة إلا بالله، ولكن ((وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا)) [آل عمران:١٢٠]، وقال تعالى: ((يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)) [آل عمران:٢٠٠].

## سنة الابتلاء في الحياة الدنيا:

لقد جعل الله سبحانه وتعالى الحياة الدنيا بلاءً واختباراً لبني الإنسان، حتى يميز الله الخبيث من الطيب، والطالح من الصالح، والمفسد من المصلح، ويرفع أهل الإيمان، ويهتك الحجاب عن أهل الكفران، وليظهر تفاوت ما بينهم في الخير والشر، فيجزي كلاً بما هو أهله، فيجعل الخبيثين في نار تتفاوت دركاتها بتفاوت كفرهم وخبثهم وشرورهم وسيئاتهم وفسادهم، وينزل الطيبين في جنة تتفاوت درجاتها بتفاوت إيمانهم وطيبهم وخيرهم وحسناتهم وصلاحهم، قال الله تعالى: ((الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا)) [الملك:٢].

## المؤمن مبتلى:

جاء عن ابن عمر أنه قال: (إن هذه الدنيا دار التواء لا دار استواء، ودار ترح لا دار فرح، فمن عرفها لم يفرح لرخاء، و لم يحزن لشدة، ألا وإن الله تعالى خلق الدنيا دار بلوى والآخرة دار عقبى، فجعل بلوى الدنيا لثواب الآخرة، وثواب الآخرة من بلوى الدنيا عوضاً، فيأخذ ويبتلي ليجزي)[٦٩].

**والليل مهما طال فلا بد من الفجر**

**والعمر مهما طال فلابد من القبر**

مصائب المؤمنين مصائب دفع أو رفع، فالمؤمن متى ضعفت همته، أو فرغت صلاته من الخشوع، أو قرأ القرآن فلم يشعر بشيء؛ تأتيه شدة تحثه على مضاعفة جهده، وتنعقد صلته بالله عز وجل، فيكون قد قفز قفزة، قفز وتابع، فكلما ضعفت همته، وكلما بطأ سيره، وكلما لانت إرادته تأتيه شدة تدفعه إلى الله عز وجل، تعزز مسيرته، وتقوي إرادته، وتسرع خطاه إلى الله عز وجل، هذه مصيبة الدفع، لذلك ورد في بعض الآثار: (أوحى ربك إلى الدنيا أن تشدّدي، وتكدّري، وتضيقي على أوليائي حتى يحبوا لقائي).

فالمؤمن مبتلى، والمؤمن مصاب، لكن مصيبته مصيبة دفع إلى الله ورفع لمقامه، قال

(٦٩) رواه الديلمي عن ابن عمر، نقلاً عن كنز العمال (٦٢٠٣).

تعالى: ((وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ)) [البقرة:١٥٧].

فرسولنا صلى الله عليه وسلم جاء يدعو أهل الطائف إلى الإسلام، فما كان منهم إلا أن كفروا به وسخروا منه، وأغروا صبيانهم كي يضربوه، وألجئوه إلى حائط، ودعا ربه بالدعاء المشهور، فقال: (**إن لم يكن بك غضب عليّ فلا أبالي، ولك العتبى حتى ترضى، لكن عافيتك أوسع لي**)[٧٠].

وعندما جاءه ملك الجبال، وقال: يا محمد! إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين. قال: (**لا، بل أرجو الله أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً**)[٧١].

ففي هذا الابتلاء من الله تعالى لسيد الخلق صلى الله عليه وسلم، وحبيب الحق، وسيد ولد آدم، ومن أقسم الله بعمره الثمين، ومن بلغ سدرة المنتهى في المقام الأعلى - أسوة لكل من أوذي في سبيل الحق الذي يحمله، وبذلك يجبر خاطره؛ لأنه يعلم أن سيد الخلق عليه الصلاة والسلام قد ذاق ولقي أشد من ذلك، فليصبر إذاً وليحتسب.

ولماذا اتهمت السيدة عائشة في أعز ما تملك امرأة؟ لأن أي مؤمنة إلى يوم القيامة لو أنها اتهمت خطأً وظلماً وعدواناً وهي بريئة مما اتهمت به، فلها في السيدة عائشة أسوة حسنة.

## أقسام الصبر:

الصبر ثلاثة أقسام:

صبر على الطاعة، وصبر عن المعصية، وصبر على المصائب والحوادث.

إن الدنيا دار بلاء ونكد، وهم وغم، وتعب ووصب، وضيق وقلق، وخوف وضجر، وأرق وسهر، إذا وصلت فتبعات موبقة، وإذا فارقت ففجعات محرقة، ليس لوصلها دوام، وما من فراقها بد، فهي غرور خادع، وأمل كاذب، وظل زائل، ولو كانت تعدل عند الله

(٧٠) انظر: البداية والنهاية (٣/١٣٦، ١٣٧)، والسيرة الحلبية (٢/٥٣).

(٧١) رواه البخاري (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٥).

جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء، فهي لا تصفو لشارب، ولا تبقى لصاحب، ولا تخلو من فتنة، ولا تخلي من محنة، نعيمها يتنقل، وأحوالها تتبدل، ولذاتها تفنى، وتبعاتها تبقى.

قال تعالى: ((وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلا تَعْقِلُونَ * أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ)) [القصص:٦٠-٦١].

فمن نظر إليها بعين البصيرة أيقن أن نعيمها ابتلاء، وحياتها عناء، وعيشها نكد، وصفوها كدر، وأهلها منها على وجل، إما بنعمة زائلة أو بلية نازلة، أو منية قاضية..

ومن حكمة الله تعالى أن جعل الدنيا منغصة مكدرة، غدارة متقلبة، أحزانها كثيرة، ومصائبها عديدة، ونكباتها مخيفة، وهاهم الناس مع كل ما يلقونه منها متعلقون بأذيالها، مغرورون بجمالها، مفتونون بزينتها، مخمورون بسكرتها، فهي خمر الشيطان، من شرب منها لم يصح إلا في عسكر الموتى، فكيف لو كانت داراً للسرور والهناء، والراحة والدعة، والأنس والسلوان؟! إذاً لنسي الناس ربهم وجنته، وإلههم وعبادته، إلا من رحم ربك.

ومن فضله جل وعلا وعظيم كرامته وواسع فضله وبديع لطفه أنه لا يجمع على عبده عسرين، ولا يقرن له بين خوفين، فإن لحقه العسر أو الخوف في الدنيا، أو نزل به الهم، أو خيم عليه الغم، أو قارعته الخطوب، أو صارعته الحتوف، أو تعرض لنازلة، أو داهمته قارعة، أو فجعته مصيبة فإن الله يرفع بذلك في الآخرة درجاته، ويعلي منازله، ويكرم مثواه، ويعطيه أجره بغير حساب، حتى الشوكة يشاكها فيصبر ويحتسب يكفر الله بها من خطاياه، فيرفعه إلى درجة يتمنى معها أهل العافية في الدنيا أن أجسامهم قرضت بالمقاريض لما يرونه من ثواب أهل البلاء.

فمن تعرض لشقاء، أو مر به عناء فليلجأ إلى رب الأرض والسماء، فإن فرجه قريب، وجوده عظيم، وخيره عميم، يفرج الهم، ويكشف الكرب، ويغيث الملهوف، ويجيب الداعي، وينصر المظلوم.

**هي الأيام والغير وأمر الله ينتظر**

أتيأس أن ترى فرجاً فأين الله والقدر

وقد جمع الله تعالى للصابرين أربعة أمور لم يجمعها لغيرهم، وهي: حسن البشارة، والصلاة منه عليهم، ورحمته لهم، وهدايته لهم، قال تعالى: ((وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ)) [البقرة:١٥٥] ((الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ)) [البقرة:١٥٦].

يقول صلى الله عليه وسلم: (**ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم! أجُرْني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها، إلا أخلف الله له خيراً منها**)[٧٢].

## مما يعين على الصبر:

هناك أمور إذا استشعرها المؤمن وجعلها نصب عينيه عند نزول المصائب أعانته على تحمل المصيبة والصبر عليها، منها:

**الأول**: أن يعرف أن الله عز وجل هو المتصرف فيما يريد، وأن هذا قضاؤه وقدره.

**الثاني**: ما دام مصير العبد إلى الله فيجب عليه أن يعلم أن هذه الدنيا إنما هي رحلة قصيرة مهما طالت، وأنه سيتركها عاجلاً أو آجلاً، وأنه سيلقى ربه كما خلق أول مرة بلا أهل ولا مال، ولكن سيلقاه بحسناته وسيئاته..

**إن الأمور إذا سُدت مطالبها فالصبر يفتق منها كل ما ارتتجا**

**لا تيأسن وإن طالت مطالبه إذا استعنت بصبر أن ترى فرجا**

**أخلق بذي الصبر أن يحظى بحاجته ومدمن القرع للأبواب أن يلجا**

**الثالث**: أن يشهد العبد حسن الثواب الذي وعده الله لمن عفا وصبر، كما قال تعالى: ((وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ)) [الشورى:٤٠]، ولما كان الناس عند مقابلة الأذى ثلاثة أقسام: ظالم يأخذ فوق حقه، ومقتصد يأخذ بقدر حقه ومحسن يعفو ويترك حقه ذكر الأقسام الثلاثة في هذه الآية، فأولها

(٧٢) رواه مسلم (٩١٨).

للمقتصدين، ووسطها للسابقين، وآخرها للظالمين.

ويشهد نداء المنادي يوم القيامة: ألا ليقم من وجب أجره على الله فلا يقوم إلا من عفا وأصلح، وإذا شهد مع ذلك فوت الأجر بالانتقام والاستيفاء؛ سهل عليه الصبر والعفو.

**الرابع**: أن يعلم أنه إن أوذي على ما فعله لله، أو على ما أمره به من طاعته ونهى عنه من معصيته وجب عليه الصبر ولم يكن له الانتقام، فإنه قد أوذي في الله، فأجره على الله، ولهذا لما كان المجاهدون في سبيل الله ذهبت دماؤهم وأموالهم في الله لم تكن مضمونة، فإن الله تعالى اشترى منهم أنفسهم وأموالهم، فالثمن على الله لا على الخلق، فمن طلب الثمن منهم لم يكن له على الله ثمن، فإنه من كان في الله تلفه كان على الله خلفه.

**الخامس**: أن يشهد معية الله معه إذا صبر، ومحبة الله له ورضاه، ومن كان الله معه دفع عنه من أنواع الأذى والمضرات ما لا يدفع عنه أحد من خلقه، قال الله تعالى: ((وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ)) [الأنفال:٤٦]، وقال: ((وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ)) [آل عمران:١٤٦].

**السادس**: أن يعلم أنه إن صبر فالله ناصره ولابد، فإن الله وكيل من صبر وأحال ظالمه عليه، ومن انتصر بنفسه لنفسه وكله الله إلى نفسه، فكان هو الناصر لها، فأين من ناصره الله خير الناصرين، إلى من ناصره نفسه أعجز الناصرين وأضعفه.

**السابع**: أن يعلم أنّ هذه المظلمة التي قد ظُلمها هي سبب إما لتكفير سيئة، أو رفع درجة.

**الثامن**: ولا يمكن العبد أن يصبر إن لم يكن له ما يطمئن به ويتنعم به ويغتذي به، وهو اليقين.

### الصبر في السنة:

يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (**عجباً لأمر المؤمن! إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر**

فكان خيراً له)[٧٣].

ويقول صلى الله عليه وسلم: (ما يصيب المسلم من نَصَب ولا وَصَب ولا هَمّ ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفَّرَ الله بها من خطاياه)[٧٤].

ويقول صلى الله عليه وسلم: (ما من مسلم يصيبه أذى شوكة فما فوقها إلا كفَّرَ الله بها سيئاته كما تحط الشجرة ورقها)[٧٥].

ويقول صلى الله عليه وسلم: (إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله تعالى إذا أحب قوما ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط)[٧٦].

صبراً فإن الصبر يعقب راحة ولعلها أن تنجلي ولعلها

ويقول صلى الله عليه وسلم: (إذا أحب الله قوماً ابتلاهم، فمن صبر فله الصبر، ومن جزع فله الجزع)[٧٧].

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: (واعلم أن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً، وأن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً)[٧٨].

واستمع إلى هذا الحديث الناصع، والكلم الرائع، من الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحي: (ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله تعالى وما عليه خطيئة)[٧٩].

### من أقوالهم في الصبر:

---

(٧٣) رواه مسلم (٢٩٩٩).

(٧٤) رواه البخاري (٥٦٤٢).

(٧٥) رواه البخاري (٥٦٤٨)، ومسلم (٢٥٧١).

(٧٦) رواه الترمذي (٢٣٩٦).

(٧٧) رواه أحمد (٢٣٦٨٣، ٢٣٦٩١).

(٧٨) رواه أحمد (٢٨٠٤).

(٧٩) رواه الترمذي (٢٣٩٩)، وأحمد (١٤٩٤).

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (وجدنا خير عيشنا في الصبر)[٨٠].

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (الصبر نصف الإيمان، واليقين الإيمان كله)[٨١].

قال الأشعث بن قيس: (إنك إن صبرت إيماناً واحتساباً وإلا سلوت سلو البهائم، واعلم أن الذي ابتلاه أحكم الحاكمين وأرحم الراحمين ليمتحن صبره ويسمع تضرعه ويخوفه، قال تعالى: ((وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ)) [المؤمنون:٧٦]، وقال تعالى ((وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)) [الزخرف:٤٨]).

قال ابن عقيل رحمه الله: «النعم أضياف وقراها الشكر، والبلايا أضياف وقراها الصبر، فاجتهد أن ترحل الأضياف شاكرة حُسْن القرى شاهدة بما تسمع وترى»[٨٢].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «من تمام نعمة الله على عباده المؤمنين أن ينزل بهم من الشدة والضر ما يلجئهم إلى توحيده فيدعونه مخلصين له الدين، ويرجونه لا يرجون أحداً سواه، فتتعلق قلوبهم به لا بغيره، فيحصل لهم من التوكل عليه والإنابة إليه، وحلاوة الإيمان وذوق طعمه، والبراءة من الشرك ما هو أعظم نعمة عليهم من زوال المرض والخوف، أو الجدب أو حصول اليسر وزوال العسر في المعيشة، فإن ذلك لذات بدنية ونعم دنيوية، قد يحصل للكافر منها أعظم ما يحصل للمؤمن، وأما ما يحصل لأهل التوحيد المخلصين لله الدين فأعظم من أن يعبر عنه مقال، ولكل مؤمن من ذلك نصيب بقدر إيمانه، ولهذا قيل: يا ابن آدم! لقد بورك لك في حاجة أكثرت فيها من قرع باب سيدك»[٨٣].

## أشد الناس بلاءً:

(٨٠) ذكره البخاري في أول باب الصبر عن محارم الله.

(٨١) ذكر البخاري (اليقين الإيمان كله) في أول باب الإيمان وقول النبي صلى الله عليه وسلم : «بني الإسلام على خمس..»، وروى الحديث بلفظه الحاكم (٣٦٦٦).

(٨٢) الفنون نقلاً عن الآداب الشرعية لابن مفلح (١٨٥/٢).

(٨٣) الفتاوى الكبرى (٣٥٩/٢).

قال النبي صلى الله عليه وسلم: (**أشد الناس بلاءً الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل**)[٨٤].

لقد ابتلى الله تعالى أحب الناس إليه، وأكرمهم عليه، وأقربهم عنده، فتلك سنة جارية وطريقة ماضية لرفعة الدرجة وإعلاء المنزلة وتمحيص الحب وتصفية القصد، وامتحان الولاء واختبار الوفاء، ولذلك نزلت بأنبياء الله تعالى مصائب مفزعة، وكوارث مذهلة، فما ازدادوا إلا صبراً، وما أفعموا إلا يقيناً، وما أعلنوا إلا رضا، قال تعالى بعد أن أثنى على أيوب وصبره: ((وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ * وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ)) [الأنبياء:٨٦].

كم لقوا من العناء! وكم واجهوا من البلاء، وتعرضوا للاستهزاء! فجعوا في حبيب، وأصيبوا في قريب، واتهموا في عرض، وجرحوا في كرامة، فكانوا مثالاً في الصبر، وآيةً في العزم، ونموذجاً في الإصرار، وأعلاماً في التضحية.

وإن كان الأنبياء مروا بأنواع من البلاء، وأعداد من المصائب، وأشكال من النوازل فإن البلاء كله، والامتحان أشده، والنكال أعظمه، والعناء أوجعه، والعنت أشقه تعرض له أكرم إنسان، وأعز مخلوق، وأطهر بشر، وهو محمد صلى الله عليه وسلم، وقد أمره مولاه جل وعلا بالصبر في آيات كثيرة، وبين له أن ذلك دأب المرسلين قبله، فطمأن فؤاده بأخبارهم، وقوى عزيمته بعرض سيرهم، قال سبحانه: ((فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ)) [الأحقاف:٣٥].

لقد تفننوا في إيذائه، وتمادوا في معاندته وهو صابر محتسب، يرفع رأسه إلى السماء ويقول: (**اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**)[٨٥].

وما ازداد إلا قوة ويقيناً، وصبراً وتضحية، وعزماً وإصراراً، عبرت سفينة صبره بحور البلاء، واقتحمت أمواج العناد، وتحطمت على عزائم إصراره فلول الشرك وكتائب المكر وقلاع الجحود وحصون الباطل.

---

(٨٤) رواه أحمد (٢٧١٢٤).

(٨٥) رواه البخاري (٣٤٧٧)، ومسلم (١٧٩٢).

لقد كان مؤمناً بربه، واثقاً بنصره، كيف لا وقد قال له ربه سبحانه: ((وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرينَ * وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ * إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ)) [النحل:١٢٦-١٢٨].

فوضت أمرك للديان مصطبراً ... بصدق نفس وعزم غير منثلم
ولّى أبوك عن الدنيا ولم تره ... وأنت مرتهن لا زلت في الرحم
وماتت الأم لما أن أنست بها ... ولم تكن حين ولت بالغ الحلم
ومات جدك من بعد الولوع به ... فكنت من بعدهم فى ذروة اليتم
فجاء عمك حصنا تستكن به ... فاختاره الموت والأعداء في الأجم
ترمى وتؤذى بأصناف العذاب فما ... رئيت فى ثوب جبار ومنتقم
حتى على كتفيك الطاهرين رموا ... سلا الجزور بكف المشرك القزم
أما خديجة من أعطتك بهجتها ... وألبستك رداء العطف والكرم
غدت إلى جنة الباري ورحمته ... فأسلمتك لجرح غير ملتئم
والقلب أفعم من حب لعائشة ... ما أعظم الخطب فالعرض الشريف رُمي
وشج وجهك ثم الجيش في أحد ... يعود ما بين مقتول ومنهزم
لما رزقت بإبراهيم وامتلأت ... به حياتك بات الأمر كالعدم
ورغم تلك الرزايا والخطوب وما ... رأيت من لوعة كبرى ومن ألم
ما كنت تحمل إلا قلب محتسب ... في عزم متقد في وجه مبتسم
بنيت بالصبر مجداً لا يماثله ... مجد وغيرك عن نهج الرشاد عمي[٨٦]

(٨٦) من قصيدة السراج المنير في مدح النبي صلى الله عليه وسلم للدكتور ناصر الزهراني.

كُتِب البلاء على أبي البشرية آدم عليه السلام، فهو أول من تعرض للبلاء، فإن الله خلقه في الجنة، وعلمه الأسماء كلها، وأسجد له ملائكته، ونهاه عن أكل الشجرة، فوسوس له الشيطان، وكان منه ما قاله الرحمن في محكم كتابه: ((فَأَكَلا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى * ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى)) [طه:١٢٢].

هذا بعد أن أهبطه الله إلى الأرض، وأفقده لذيذ ذلك العيش، فانتقضت عادته، وغلظت محنته، وقتل أحد ابنيه الآخر، وكانا أول أولاده.. فلما طال حزنه وبكاؤه، واتصل استغفاره ودعاؤه، رحم الله عز وجل تذللـــه وخضوعه، واستكانته ودموعه، فتاب عليه وهداه، وكشف ما به ونجاه.

فكان آدم عليه السلام أول من دعا فأجيب، وامتحن فأثيب، وخرج من ضيق وكرب إلى سعة ورحب، وسلا همومه، ونسي غمومه، وأيقن بتجديد الله عليه النعم، وإزالته عنه النقم، وأنه تعالى إذا استُرْحِم رَحِم.

فأبدله تعالى بتلك الشدائد وعوَّضه عن الابن المفقود والابن العاق الموجود نبي الله شيث صلى الله عليه وسلم، وهو أول الأولاد البررة بالوالدين، ووالد النبيين والصالحين، وأبو الملوك الجبارين، الذي جعل الله ذريته هم الباقين، وخصهم من النعم بما لا يحيط به وصف الواصفين.

وهكذا الأنبياء عليهم السلام، ما منهم نبي إلا وتعرض للبلاء، نوح وإبراهيم ولوط ويونس وموسى وعيسى عليهم السلام، ولكن ثقتهم بالله عظيمة، ورضاهم بقدره مشهود.

فهذا يعقوب عليه السلام بعد أن فقد أحب أبنائه إلى قلبه، وأقربهم إلى نفسه يوسف عليه السلام، وحزن عليه حزناً شديداً ((وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ)) [يوسف:٨٤] بعد هذا الهم الكبير فقد ابنه الآخر (بنيامين) حينما احتجزه يوسف عنده في مصر، فلما جاءه خبر غيبة (بنيامين) لم يزد جزعُه وينفذ صبره ويبدو تسخطه، بل قال في ثقة المؤمن، وهدوء الصابر: ((عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا)) [يوسف:٨٣].

وممن تعرض للبلاء الشديد من أنبياء الله تعالى أيوب عليه السلام، فقد ابتلي بضر في جسده وولده وماله، فلما طال المطال، واشتد الحال، وانتهى القدر المقدور، وتم الأجل المقدر تضرع إلى رب العالمين وإله المرسلين وأرحم الراحمين، فقال: ((أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ)) [الأنبياء:٨٣]، فعند ذلك استجاب له ربه، وقَبِل دعوته، ولبى نداءه، فأمره أن يقوم من مقامه، وأن يركض الأرض برجله، ففعل ذلك فأنبع الله عيناً وأمره أن يغتسل منها، فأذهب الله جميع ما كان في بدنه من الأذى، ثم أمره فضرب الأرض في مكان آخر فأنبع له عيناً أخرى وأمره أن يشرب منها، فأذهبت ما كان في باطنه من السوء، وتكاملت العافية ظاهراً وباطناً، وذلك كله ثمرة الصبر، ونتيجة الاحتساب، وفائدة الرضى، قال تعالى: ((وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ * ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ * وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ * وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ)) [ص:٤٠-٤٤].

سأل رجل الشافعي رحمه الله فقال: يا أبا عبد الله! أيهما أفضل للرجل أن يُمَكَّن فيشكر الله عز وجل أو يبتلى فيصبر؟

فقال الشافعي: (لا يُمَكّن حتى يُبْتَلَى؛ فإن الله ابتلى نوحاً وإبراهيم ومحمداً صلوات الله عليهم أجمعين، فلما صبروا مَكَّنهم، فلا يظن أحد أن يخلص من الألم ألبتة).

**وما هذه الأيام إلا منازل  فمن منزل رحب إلى منزل ضنك**

## الهداية والصبر:

إن الصبر من أعظم صفات المهتدي التي لا يستغني عنها في طريق الهداية، فهو لابد أن يلاقي من بعض الناس الصدود والإعراض إن لم يلاق الأذى والعذاب والاضطهاد، لكن بالصبر يمضي في طريقه ولا يبالي بما يلاقيه في سبيلها من مشقة وصعاب.

فيا أتباع الأنبياء! ويا أبناء الصحوة! ويا أهل الخير! ويا أيها المؤمنون! أنتم أحق الناس بهذه الصفة، وأحوج الخلق إلى هذه الخلة، فإنكم ستلقون خطوباً عظاماً، وعقبات كباراً،

ومتاعب وآلاماً، تنوء بها الظهور، وتضعف عن حملها الجبال، فأنتم من هجر الهوى والشيطان، وترك المحاب والشهوات، ووقفتم عند حدود الله أمراً ونهياً، وفعلاً وتركاً، فأعداؤكم كثر ومعارضوكم أكثر الخلق، قال الله تعالى: ((وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ)) [الأنعام:١١٦]، فما أحوجكم إلى صبر تقطعون به هذه المفاوز! ومجاهدة تتحملون بها معارضة أكثر الخلق!

ما أمس حاجتكم إلى صبر جميل تستعينون به على تلقي ما يلحق بكم من أذى قولي أو فعلي، حسي أو معنوي، فأعداء الله لا يرقبون في مؤمن إلًّا ولا ذمة، ولا يتورعون عن إيقاع الأذى بشتى صنوفه على أولياء الله، بل وعلى كل من قال: (لا إله إلا الله)، وما قصة أصحاب الأخدود عنا ببعيد، ولا ما يجري على كثير من أهل الإسلام ورجالاته من الأذى والقتل والضرب والسجن والمطاردة والإبادة ومصادرة الحقوق والحريات وغير ذلك عنَّا بغائب.

فعليكم -أيها المؤمنون- أن توطنوا أنفسكم على احتمال المكاره دون ضجر، وانتظار الفرج دون ملل، ومواجهة الأعباء والصعاب دون كلل، فإن هذه سنة الله تعالى في عباده، ليميز الخبيث من الطيب، قال الله تعالى: ((لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ)) [آل عمران:١٨٦].

وما أشد حاجتكم إلى الصبر عند تأخر النصر والمدد من الله؛ فإن النصر لا تشرق شمسه إلا بعد ليل طويل حالك مليء بالشدائد والمحن التي تدمع لهولها الأبصار، وتبلغ لشدتها القلوب الحناجر، قال الله تعالى: ((أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ)) [البقرة:٢١٤].

إننا في هذه الأزمان المتأخرة من أشد الناس حاجة إلى الصبر؛ فإن الباطل قد انتفش وكثر أعوانه ودعاته، فتكالبت علينا الأعداء من كل حدب وصوب، وقد أرشدنا إلى ذلك نبينا محمد صلى الله عليه وسلم حيث قال: (**فإن من ورائكم أيام الصبر، الصبر فيها مثل**

**القبض على الجمر، للعامل فيهم مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عمله)**[(٨٧)]، وتذكروا أن الصبر والمجد لا يحصل إلا بالتعب والكد.

**بقدر الكد تكتسب المعالي — ومن طلب العلا سهر الليالي**

قال تعالى: ((وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ)) [البقرة:٤٥].

بالصبر الجميل، بالمحافظة على الصلاة، بالخشوع لله تعالى، بالتقوى والدعاء، بصدق التوكل يأتي التوفيق، وتحل المغاليق، فهي حفظ لنا من الأعداء، وهي حرز لنا من الألداء، وهي عوننا وسندنا إذا خاب في الناس الرجاء.

يجب أن ندعو الله تعالى بما دعت به الفئة المؤمنة حينما برزوا لجالوت وجنوده، فنجاهم الله منه وهزموه وجنده: ((قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ)) [البقرة:٢٥٠]، ودعا به أتباع موسى فنجاهم الله من فرعون وأهلكه فقالوا: ((رَبَّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ)) [الأعراف:١٢٦].

* * *

(٨٧) رواه أبو داود (٤٣٤١)، والترمذي (٣٠٥٨)، وابن ماجة (٤٠١٤).

## أما لك في هؤلاء أسوة؟

لقد سجل المسلمون على مَرِّ التاريخ أروع آيات الصبر، وأسمى أحاديث الشكر، قرؤوا ما أعد الله للصابرين فاحتسبوا وصبروا، وتأملوا سنة المصطفى فاقتدوا وتأسوا، أرخوا سمعهم لنداء المولى فإذا به يقول: ((وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ)) [البقرة:١٥٥-١٥٧]، ونظروا إلى حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم فإذا به يقول: (**ما من مسلم يصيبه أذى شوكة فما فوقها إلا كفَّر الله بها سيئاته، وحُطَّتْ عنه ذنوبه كما تحط الشجرة ورقها**)[٨٨].

لقد كتبت أسرة آل ياسر أعظم آيات الصبر، واحتملت أشد أنواع الأذى وأفدح البلاء، فمات ياسر رضي الله عنه وأرضاه تحت العذاب، وماتت سمية رضي الله عنها بطعنة فاجرة غادرة من أبي جهل، ورُمي عبد الله فسقط، ولم يبق منهم إلا عمار رضي الله عنه الذي واصل مسيرة الصبر وقصة الكفاح ورواية التضحية في خدمة الإسلام.

وصَبَر بلال على ما لا يطاق، وتحمل ما لا يحتمل، وصبر خباب وابن مسعود، وصبرت عائشة وأم سلمة وذات النطاقين وغيرهم من أولئك الأفذاذ العظماء والأبطال النجباء، الذين صبروا على كل ما أصابهم فى سبيل الله وفي مرضاته، رضي الله عنهم وجمعنا بهم فى جنات النعيم..

فيا من بليت اصبر واحتسب، واعلم أنه سيأتي يوم يتمنى فيه أناس أن أجسادهم قرضت بالمقاريض لما يرون من ثواب أهل البلاء، واعلم (**أن البلاء ما يزال بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله تعالى وما عليه خطيئة**)[٨٩]، (**وما أعطي أحد من عطاء خير وأوسع من الصبر**)[٩٠].

---

(٨٨) رواه البخاري (٥٦٤٨)، ومسلم (٢٥٧١).

(٨٩) رواه الترمذي (٢٣٩٩)، وأحمد (١٤٩٤).

(٩٠) رواه البخاري (١٤٦٩)، ومسلم (١٠٥٣).

الصبر مثل اسمه مرٌّ مذاقتُهُ لكن عواقبه أحلى من العسل

## خمس بشائر للمكروب:

روي عن الحسن البصري رحمه الله أنه قال: (عجباً لمكروب غفل عن خمس، وقد عرف ما جعل الله لمن قالهن، قوله تعالى: ((وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ)) [البقرة:١٥٥-١٥٧].

وقوله تعالى: ((الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ * فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ)) [آل عمران:١٧٣-١٧٤].

وقوله: ((وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ * فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا)) [غافر:٤٤-٤٥].

وقوله: ((وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ)) [الأنبياء:٨٨].

وقوله: ((وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ * فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)) [آل عمران:١٤٧-١٤٨])[٩١].

## أمور ينبغي مراعاتها في الصبر:

قد يصبر بعض الناس على ما يصيبه من البلايا والرزايا، ولكنه يغفل عن أمور مهمة تركها يذهب بأجر الصبر أو ينقصه، فلابد على الصابر أن يراعي ما يلي:

(٩١) رواه الترمذي (٢٣٩٩)، وأحمد (١٤٩٤).

١- لابد أن يراد بالصبر ابتغاء وجه الله تعالى، وطلب رضوانه، قال تعالى: ((وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ)) [الرعد:٢٢]، فلم يصبروا ليقال عنهم: أبطال وصابرون ومحتسبون. بل صبروا لله تعالى وابتغاء ما عنده.

٢- أن يتوكل الصابر على الله ويثق بنصره، ويسلم لأمره، قال تعالى: ((الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)) [النحل:٤٢].

٣- الصبر يثمر في حياة المتقين ودنيا الخاشعين، قال تعالى: ((وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا)) [آل عمران:١٢٠]، وقال تعالى: ((وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ)) [آل عمران:١٨٦]، وهذا يوسف بعد أن صبر على ما أصابه بَيّن الحكمة في سبب فوزه وظفره وعزته، فقال تعالى عنه: ((قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ)) [يوسف:٩٠]، وهذه آية تقرن بين الصبر والاستعانة بالله ولزوم التقوى، قال موسى لقومه: ((اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ)) [الأعراف:١٢٨].

٤- الصبر يثمر مع إقامة الصلاة والمحافظة عليها، قال تعالى: ((يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ)) [البقرة:١٥٣]، وقال تعالى: ((وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ)) [الرعد:٢٢].

٥- الصبر يثمر مع الصدق والعبادة والإنفاق والاستغفار، وقد مدح الله عباده الذين أعد لهم أحسن المثوبة بقوله: ((الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ)) [آل عمران:١٧]، وقال تعالى: ((فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ)) [غافر:٥٥].

٦- الصبر يثمر بالاحتساب، أي أن الإنسان يحتسب ما أصابه عند ربه، فيرجو مثوبته ويطمع في رحمته، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (**إن الله لا يرضى لعبده المؤمن إذا**

ذهب بصفيَّه من أهل الأرض فصبر واحتسب وقال ما أُمِر به بثواب دون الجنة[٩٢]، وما أُمِر به هو قوله تعالى: ((الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ)) [البقرة:١٥٦].

إن الصبر سلوة في الدنيا، ورفعة له في الآخرة..

اصبر ففي الصبر خير لو علمت    لطبت نفساً ولم تجزع من الألم

إن الصبر مفتاح الفرج، وإن مع العسر يسراً، وإن لكل بلاء جلاء، ولكل غائب أوبة.

إذا ما أتاك الدهر يوماً بنكبة    فأفرغ لها صبراً ووسع لها صدرا
فإن تصاريف الزمان عجيبة    فيوماً ترى يسراً ويوماً ترى عسرا
وكم لك من خفي اللطف لطفاً    يدق خفاه عن فهم الذكي
وكم يسر أتى من بعد عسر    وفرج لوعة القلب الشجي
وكم همٍ تعانيه صباحاً    فتعقبه المسرة بالعشي
إذا ضاقت بك الأسباب يوماً    فثق بالواحد الصمد العلي

إذا بلغ بك الجهد مبلغه فتذكّر خروج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى الطائف، وما قُوبِل به عليه الصلاة والسلام في الطائف من سَفَهٍ وضرب ورجم، ثم رجوعه إلى مكة ومبيته بوادي نخلة، وفي كلّ ذلك كان عليه الصلاة والسلام وحيداً راجلاً.

وإذا طالك الأذى من الأقربين فاقرأ ((تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ)) [المسد:١] يهون عندك كل أذى.

وإذا أُوذِيت في الله فتذكّر (سلا الجزور) حينما وُضِع على أشرف وأطهر كَتِف.

إذا آذاك السفهاء فتذكّر ((سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ)) [البقرة:١٤٢].

ولو أدموا عقبيك في طريق الدعوة، فتذكّر الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم

(٩٢) رواه النسائي (١٨٧١).

حينما أدموا عقبيه في الطائف.

ولو سال الدم على وجهك فتذكّر قوله وهو يمسح الدم عن وجهه: (**رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**).

وإن طالك الأذى فاقرأ ((وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا)) [الأحزاب:٤٨].

تذكّر أن موسى خرج خائفاً يترقّب وفي اللوح المحفوظ أنه نبيّ. قال ابن عباس: (لقد قال موسى: رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير وهو أكرم خلقه عليه، ولقد كان افتقر إلى شِقِّ تَمْرة، ولقد أصابه الجوع حتى لزق بطنه بظهره)[٩٣].

إذا ادلهمّت الخطوب، وضاقت بك السُّبُل، و لم تَرَ لانبلاج الصبح وجهاً فتذكّر يونس بن متى عليه الصلاة والسلام إذ نادى في الظلمات ((لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ)) [الأنبياء:٨٧].

وإذا أوذِيت فتأمل قول سيد ولد آدم عليه الصلاة والسلام: (**لقد أوذِيت في الله وما يؤذى أحد، ولقد أُخِفْتُ في الله وما يَخَاف أحد، ولقد أتت علي ثلاث من بين يوم وليلة وما لي طعام إلا ما وَارَاه إبط بلال**)[٩٤].

إذا أتاك الأذى ممن شاركوك الطريق فتذكّر قول أبي الحسن علي رضي الله عنه: (إلى الله أشكو عُجَرِي وبُجَرِي)[٩٥].

قال الأصمعي: معناه: سرائري وأحزاني التي تموج في جوفي[٩٦].

وإذا ضاقت بك الأرض بما رحُبت فتذكّر الثلاثة الذين خُلِّفوا، وقد هُجِروا قرابة خمسين ليلة، واعتزلهم الناس فلا أحد يُكلّمهم، حتى قال كعب بن مالك رضي الله عنه:

---

(٩٣) رواه ابن أبي شيبة (٣٤٣٠٠).

(٩٤) رواه الترمذي (٢٤٧٢)، وابن حبان (٦٥٣٣).

(٩٥) انظر: تاريخ دمشق (١١٥/٢٥)، وسير أعلام النبلاء (٣٦/١).

(٩٦) انظر: تاريخ دمشق (١١٥/٢٥)، وسير أعلام النبلاء (٣٦/١).

(فاجتنبنا الناس، وتغيَّروا لنا، حتى تَنَكَّرَتْ لي في نفسي الأرض، فما هي بالأرض التي أعرف، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة)[٩٧].

إذا رأيت غَلَبَة الباطل فتذكّر: ((فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ)) [الرعد:١٧].

فهذا مثل ضَرَبَه رب العزّة سبحانه وتعالى فقال في آخر الآية: ((كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ)) [الرعد:١٧]، والأمثال لا يفهمها ولا يَعِيها كل أحد ((وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ)) [العنكبوت:٤٣].

إذا رأيت صولة الباطل، وانتفاشة النفاق، فتذكّر أن ألدّ أعداء الدعوة وقفوا صاغرين بين يدي من عادَوه وآذوه، فقال لهم: (**اذهبوا فأنتم الطلقاء**)[٩٨]!

فصولة الباطل ساعة، ودولة الحق إلى قيام الساعة، فلا تحزن[٩٩].

* * *

(٩٧) رواه البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩).

(٩٨) رواه البيهقي في الكبرى (١٨٠٥٥)، وانظر: السيرة النبوية لابن هشام (٧٤/٥).

(٩٩) إضاءات للدعاة والداعيات لعبد الرحمن بن عبد الله السحيم.

# وصـــــــايـــــا

## الوصية الأولى: (شكر الله على نعمة الهداية):

الهداية للحق نعمة يمن الله بها على بعض الخلق دون بعض، قال تعالى: ((فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلالَةُ)) [الأعراف:٣٠]، فعلى المؤمن:

١- أن يكثر من شكر الله على هذه النعمة، قال تعالى: ((وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ)) [الأعراف:٤٣].

٢- أن يسأل الله الثباتِ على هذه النعمة، قال تعالى: (رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ)

٣- أن يتأمل في حال المحرومين من هذه النعمة.

فلن يعرف المؤمن قدر هذه النعمة حتى يتأمل في حال المحرومين من هذه النعمة، تأمل أحوال هؤلاء المساكين من حولك، ترى أحوالهم تثير الشفقة.

فهذا مهمل للقرآن شديد الحرص على حفظ قصائد النعي والعويل.

وهذا مهمل لصلاة الجماعة شديد الحرص على المشاركة في كل المآتم والموالد.

وهذا مهمل للزكاة شديد الحرص على دفع خمس ماله لفلان وعلان وإن كان القرآن أوجبه في أموال التجار فقط.

وهذا مهمل للتمتع بزوجته، شديد الحرص على التمتع بالأخريات، تاركاً زوجته تعاني الحرمان بدعوى جواز المتعة!

تأمل حال هؤلاء تجدهم في شقاء وضيق، في حيرة واضطراب، يصارع أحدهم نفسه لما يعانيه من ضلال فكري وانحراف عقدي وشقاء بدعي، فلن تعرف قدر نعمة الله عليك حتى تتأمل حال هؤلاء.

الوصية الثانية: (الإخلاص):

على المسلم أن يجتهد في إخلاص نيته لله، وأن يتخلص من كل المقاصد الدنيوية.

فالإخلاص أصل قبول الأعمال لأن القليل مع الإخلاص كثير.

فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**لقد رأيت رجلاً يتقلب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذي المسلمين**)[١٠٠].

ولأن الكثير بغير إخلاص هباء.

قال تعالى: ((وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا)) [الفرقان:٢٣]، هؤلاء أكثروا من الطاعات بغير إخلاص فجعلها الله هباءً منثوراً.

وقد أخبرنا نبينا صلى الله عليه وسلم أنه (**يؤتى يوم القيامة برجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن، فيقال له: فما عملت؟ قال: تعلمت العلم وعلمته، وقرأت فيك القرآن قال: كذبت، ولكن تعلمت ليقال: عالم، وقرأت القرآن ليقال قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار**)[١٠١].

الوصية الثالثة: (التأني والحكمة):

النبي صلى الله عليه وسلم لما بعث تدرج في دعوته، فدعا للتوحيد أولاً، ثم من قَبِل التوحيد دعاه للصلاة، ثم للصيام، حتى يسهل على الآخرين قبول الحق الذي معه، فعليك -أخي الحبيب- أن تتدرج في التعامل مع الآخرين، وأن تراعي أحوالهم ليسهل عليهم قبول ما معك من الحق، أو -على أقل تقدير- لا يتشددون في معارضتك والتضييق عليك، واعلم أن السائرين في طريق الهداية صنفان:

الصنف الأول: صنف متعجل مثير تصادمي.

فهذا يؤذي نفسه ويؤذي الآخرين، فيبغضونه ويبغضون الحق الذي معه، وإن تمادى

---

(١٠٠) رواه مسلم (١٩١٤).

(١٠١) رواه مسلم (١٩٠٥).

كادوا له وتآمروا عليه.

فهذا وللأسف الشديد ينفر من الحق.

الصنف الثاني: حكيم متأنٍّ.

يتعلم العقيدة الصحيحة بأدلتها، ويتعلم الطهارة والصلاة وسائر العبادات.

يصلح نفسه بتصحيح العلاقة مع ربه.

يبحث له عن صحبة صالحه تعينه على الحق.

يبحث عمن يثق في دينه وعلمه ليسأله عما يشكل عليه، ويستشيره فيما يشق عليه.

يسعى لإصلاح الآخرين بعلم وحكمة وتأنٍ، ويحرص على التعامل بالحسنى لأنه أول خطوات الدعوة.

يصبر على ما يجد من مشاق ومتاعب.

## الوصية الرابعة: (التمسك بخطوات النجاة):

قال تعالى: ((وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ)) [العصر:١-٣]، أقسم سبحانه بخسران الجميع، ثم استثنى صنفاً واحداً وصفه بصفات أربع، هي: (الَّذِينَ آمَنُوا) و(عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) و(تَوَاصَوْا بِالْحَقِّ) و(تَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ).

فعلى كل مسلم أن يتمسك بهذه الخطوات الأربع إن أراد النجاة من الخسران.

### أولاً: الإيمان:

فأصول الاعتقاد الثابتة بالقرآن المحكم والسنة الصحيحة المحكمة ستة، وعن هذه الأصول تتفرع كل قضايا العقيدة، قال تعالى: ((لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ)) [البقرة:١٧٧]

وقال صلى الله عليه وسلم لجبريل عندما سأله عن الإيمان: (**أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره**)[١٠٢].

فعلى كل مسلم أن يتعلم أركان الإيمان، وشروط الإيمان، ونواقض الإيمان حتى يكتسب إيمانه قوة ورسوخاً.

فأركان الإيمان ستة هي المذكورة في الحديث.

وشروط (لا إله إلا الله) سبعة، هي: العلم واليقين والقبول والانقياد والصدق والمحبة والإخلاص.

ونواقض الإيمان خطيرة، قال تعالى: ((لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ)) [التوبة:٦٦] هؤلاء خرجوا من الإيمان بكلمة قالوها، فرب كلمة تخرج صاحبها من الإسلام والعياذ بالله، فكما أن الطهارة تزول بوجود أحد النواقض فكذلك التوحيد يزول بوجود أحد النواقض والعياذ بالله، فعلى كل مسلم أن يحذر من نواقض الإيمان، وأشهرها عشرة هي:

١- الشرك في عبادة الله.

٢- من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم.

٣- من لم يكفر المشركين أو شك في كفرهم أو صحح مذهبهم.

٤- من اعتقد أن هدي غير النبي صلى الله عليه وسلم أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه.

٥- من أبغض شيئا مما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ولو عمل به.

٦- من استهزأ بشي ء من دين الرسول صلى الله عليه وسلم أو ثوابه أو عقابه.

٧- السحر.

٨- مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين.

(١٠٢) رواه البخاري (٥٠)، ومسلم (٨).

٩- من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد صلى الله عليه وسلم.

١٠- الإعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به.

### ثانياً: الأعمال الصالحات:

لا يكتمل إيمان المسلم إلا بأداء الطاعات، ولذا قرن الله عز وجل الإيمان بالعمل الصالح في آيات كثيرة.

قال تعالى: ((وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ)) [المائدة:٩].

وقال تعالى: ((إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ)) [يونس:٩]

وقال تعالى: ((إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ)) [لقمان:٨].

فمن حافظ على الطاعات غفر له، ومن حافظ على الطاعات أخرج من الظلمات إلى النور، ومن حافظ على الطاعات هداه الله، ومن حافظ على الطاعات أدخل الجنة، فاحرص -رعاك الله- على فعل الطاعات كما شرعها الله عز وجل.

### ثالثاً: التواصي بالحق:

(التواصي) هو دعوة الآخرين للحق الذي تعلمته، وهنا وقفات:

١- أخر الرب عز وجل الدعوة فجعلها الخطوة الثالثة، فلا تستعجل في الدعوة.

٢- أصلح نفسك قبل التفكير في إصلاح الآخرين، فابدأ ببناء نفسك فتعلم واعمل.

٣- تعلم أساليب الدعوة وأصولها.

٤- ابذل للدعوة واصبر على ما يصيبك.

### رابعاً: التواصي بالصبر:

فاعلم -رحمك الله- أن تعلم الدين الحق يحتاج إلى صبر.

وأن عمل الطاعات وهجر المنكرات يحتاج إلى صبر.

وأن دعوة الآخرين تحتاج إلى صبر.

لهذا ختم الرب عز وجل وصاياه بهذه الوصية المهمة، لأن تطبيق المسلم للخطوات الثلاث السابقة يحتاج إلى صبر، كما أن المسلم في طريق الحق لا بد من أن يجد من يعارضه، أو يؤذيه أو يستهزئ به.

**نصيحة:**

كل مهتدٍ يحزن على وضع أهله وأقاربه، ويتمنى اليوم الذي يرى الأمة كلها موحدة، وأنصحك عند رغبتك في دعوة أهلك وأقاربك بأمور، منها:

- التعامل بالحسنى هو الأسلوب الأفضل في التعامل مع الأقارب، قال تعالى: ((وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا)) [لقمان:١٥]فالتعامل الحسن مفتاح القلوب.

- أكثر من الدعاء لهم، فالدعاء هو السلاح المهجور.

- استخدم الحوار الهادئ اللين في الوقت المناسب.

- نوع في استخدم الوسائل الدعوية، فمرة شريط مفيد، ومرة كتب، ومرة هدية وغير ذلك.

- كن قدوة حسنة في كل شيء، كن مثالاً جيداً للتمسك بالطاعات والسنن والصدق والبذل والعطاء، والرفق وغيرها من الأخلاق الكريمة، فهذا من أكثر الأشياء تأثيراً في الآخرين.

* * *

## خاتمة

## والموعد الجنة

أيها المهتدي إلى الحق! أيها الصابر المحتسب! أيها القابض على دينه كالقابض على الجمر! يا من عقد قلبه على الإيمان بالله تعالى رباً، وبالإسلام الحق ديناً، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً!

يا من جعل لنفسه في الصابرين قبله أسوة، وجعل من حياتهم لهمومه سلوة!

إليك أيها الحبيب الصابر، والعامل المثابر، إليك أيها المعاني هم ما تعتقده بالليل والنهار، إليك أيها المستعين بالله الواحد القهار، المتضرع إليه بالأسحار، إليك أيها المجاهد بشارة ربك من فوق سبع سماوات: رضي الله عنه ((إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ)) [الزمر:١٠].

اصبر فقد تُدْعى على رؤوس الأشهاد لتتوج بتاج الكرامة والرضوان، ويا لها من نعمة! غداً ستحشر بإذن الله مع وفد المتقين إلى جنات رب العالمين، لتسمع خطاب ربك لك ولغيرك من أهل الجنة: (**اليوم أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً**)، فتعيش في الدور والقصور، والحبرة والسرور، بجوار العزيز الغفور ورفقة أسوتك محمد صلى الله عليه وسلم وإخوانه من الأنبياء وأصحابه وأحبابه وكل صبور شكور.

ثم يتوج ربك جل وعلا ذلك النعيم بالنظر إليه تعالى في يوم المزيد، فلا والله ما أعطي مخلوق عطاءً مثل ذلك العطاء.

فإن أردت وصف ما ستدخله، ولذة ما ستشربه وتأكله، وجمال الحلل، وطيب الظلل، ولين النعيم، فاقرأ معي قول ربك جل وعلا: ((وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)) [البقرة:٢٥].

واقرأ قوله تعالى: ((قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ)) [آل عمران:١٥].

واقرأ قوله تعالى: ((يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ * خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ)) [التوبة:٢١-٢٢].

واقرأ قوله تعالى: ((وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)) [التوبة:٧٢].

واقرأ قوله تعالى: ((جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ * سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ)) [الرعد:٢٤].

واقرأ قوله تعالى: ((إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا)) [الكهف:٣٠] ((أُوْلَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا)) [الكهف:٣١].

واقرأ قوله تعالى: ((إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا * يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا * وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا * إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا * فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا * وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا * مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ لا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلا زَمْهَرِيرًا * وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا * وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ * قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا * وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا * عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا * وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا

رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنثُورًا * وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا * عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا * إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا)) [الإنسان:٥-٢٢].

واقرأ قوله تعالى: ((إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ * هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلالٍ عَلَى الأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ * لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ * سَلامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ)) [يس:٥٥-٥٨].

واقرأ قوله تعالى: ((يَاعِبَادِ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ * ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ * يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)) [الزخرف:٦٨-٧٢].

واقرأ قوله تعالى: إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ * تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ * يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ * خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ)) [المطففين:٢٢-٢٦].

واقرأ قوله تعالى: ((فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)) [السجدة:١٧].

**وتأمل أحاديثه صلى الله عليه وسلم وهو يبشر العاملين:**

عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(يأكل أهل الجنة فيها ويشربون ولا يتغوطون ولا يمتخطون ولا يبولون ولكن طعامهم ذاك جشاء كرشح المسك يلهمون التسبيح والتكبير كما يلهمون النفس)**(١٠٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(قال الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر**

(١٠٣) رواه مسلم (٢٨٣٥).

واقرؤوا إن شئتم: ((فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ)) [السجدة:١٧])[١٠٤].

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، ثم الذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة، لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتفلون ولا يمتخطون، أمشاطهم الذهب، ورشحهم المسك، ومجامرهم الألوة -عود الطيب-، أزواجهم الحور العين على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم ستون ذراعا في السماء)[١٠٥].

وفي رواية: (آنيتهم وأمشاطهم من الذهب والفضة، ومجامرهم من الألوة، ورشحهم المسك، ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن، لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم قلب واحد، يسبحون الله بكرة وعشيا)[١٠٦].

وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (سأل موسى صلى الله عليه وسلم ربه: ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ قال: هو رجل يجيء بعد ما أدخل أهل الجنة الجنة فيقال له: ادخل الجنة فيقول: أي رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم؟ فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيت رب، فيقول: لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله، فيقول في الخامسة رضيت رب، فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله ولك ما اشتهت نفسك ولذت عينك، فيقول: رضيت رب. قال: رب فأعلاهم منزلة؟ قال: أولئك الذين أردت غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر)[١٠٧].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إني لأعلم آخر أهل النار خروجا منها وآخر أهل الجنة دخولا الجنة: رجل يخرج من النار حبوا فيقول الله عز وجل له: اذهب فادخل الجنة فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى فيرجع فيقول: يا

(١٠٤) رواه البخاري (٣٢٤٤)، ومسلم (٢٨٢٤).

(١٠٥) رواه البخاري (٣٣٢٧)، ومسلم (٢٨٣٤).

(١٠٦) رواه مسلم (٢٨٣٤).

(١٠٧) رواه مسلم (١٨٩).

رب وجدها ملأى. فيقول الله عز وجل له: اذهب فادخل الجنة فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى فيرجع فيقول: يا رب وجدها ملأى فيقول الله عز وجل له: اذهب فادخل الجنة فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها أو إن لك مثل عشرة أمثال الدنيا فيقول: أتسخر بي أو تضحك بي وأنت الملك، قال: فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه فكان يقول: ذلك أدنى أهل الجنة منزلة)[١٠٨].

وعن أبي موسى رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها في السماء ستون ميلا للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن ولا يري بعضهم بعضا)[١٠٩].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن في الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع مائة سنة ما يقطعها)[١١٠].

وروياه في الصحيحين أيضاً من رواية أبي هريرة رضي الله عنه قال: (يسير الراكب في ظلها مائة سنة لا يقطعها)[١١١].

وعنه رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم، قالوا: يا رسول الله! تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم، قال: بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين)[١١٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لقاب قوس في الجنة خير مما تطلع عليه الشمس أو تغرب)[١١٣].

(١٠٨) رواه البخاري (٦٥٧١)، ومسلم (١٨٦).

(١٠٩) رواه مسلم (٢٨٣٨).

(١١٠) رواه البخاري (٦٥٥٣)، ومسلم (٢٨٢٨).

(١١١) رواه البخاري (٣٢٥١)، ومسلم (٢٥٢٤).

(١١٢) رواه البخاري (٣٢٥٦)، ومسلم (٢٨٣١).

(١١٣) رواه البخاري (٢٧٩٣)، ولفظ مسلم (١٨٨٣): «غدوة في سبيل الله أو روحة خير مما طلعت عليه الشمس وغربت».

وعن أنس رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن في الجنة سوقا يأتونها كل جمعة فتهب ريح الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم فيزدادون حسناً وجمالا فيرجعون إلى أهليهم وقد ازدادوا حسناً وجمالا فيقول لهم أهلوهم: والله لقد ازددتم حسناً وجمالا. فيقولون: وأنتم والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً)[١١٤].

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن أهل الجنة ليتراءون الغرف في الجنة كما تتراءون الكوكب في السماء)[١١٥].

وعنه رضي الله عنه قال: شهدت من النبي صلى الله عليه وسلم مجلسا وصف فيه الجنة حتى انتهي ثم قال في آخر حديثه: (فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ثم قرأ: ((تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ)) [السجدة:١٦] إلى قوله تعالى: ((فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ)) [السجدة:١٧] [١١٦].

وعن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهم، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إذا دخل أهل الجنة الجنة ينادي مناد: إن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدا وإن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدا)[١١٧].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن أدنى مقعد أحدكم من الجنة أن يقول له تمن فيتمنى ويتمنى فيقول له: هل تمنيت؟ فيقول: نعم فيقول له: فإن لك ما تمنيت ومثله معه)[١١٨].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله عز وجل يقول لأهل الجنة: يأهل الجنة فيقولون: لبيك ربنا وسعديك والخير في

(١١٤) رواه مسلم (٢٨٣٣).

(١١٥) رواه البخاري (٦٥٥٦)، ومسلم (٢٨٣٠).

(١١٦) رواه البخاري (٣٢٤٤)، ومسلم (٢٨٢٤) واللفظ له.

(١١٧) رواه مسلم (٢٨٣٧).

(١١٨) رواه مسلم (١٨٢).

يديك. فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا ربنا وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدا)[١١٩].

وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه، قال: (كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر إلى القمر ليلة البدر وقال: إنكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته)[١٢٠].

وعن صهيب رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم)[١٢١].

أسأل الله الكريم رب العرش العظيم

أن يوفقنا لكل خير وأن يعظم لنا الأجر،

وأن يثبتنا على الحق إلى أن نلقاه،

إنه ولي ذلك والقادر عليه

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين..

* * *

(١١٩) رواه البخاري (٦٥٤٩)، ومسلم (٢٨٢٩).

(١٢٠) رواه البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٦٣٣).

(١٢١) رواه مسلم (١٨١).

## فهرس المحتويات

الإهـــــــداء ........................................................................................ ٢
إضـــــــــــــــاءة ........................................................................... ٣
مقـــدمــــة.......................................................................................... ٤
توطئـــــــــة............................................................................................ ٨
حال الناشئين في الكفر مع أنبيائهم................................................................ ١٠
أصناف أهل الكفر والضلال من حيث العلم والعمل......................................... ١٤
الصوارف عن الحق.................................................................................. ١٩
كذلك يمحو الله الباطل ويحق الحق............................................................... ٢٥
مفارقة الأهل والأصحاب والأوطان .............................................................. ٢٧
- إبراهيم عليه السلام: ٢٧
- موسى عليه السلام وفراره من بطش فرعون: ٢٨
- أصحاب الكهف: ٢٨
- قصة سعد بن أبي وقاص مع أمه: ٢٩
- مصعب بن عمير: ٣٠
- آل أبي سلمة: ٣١
الإيذاء الجسدي والنفسي........................................................................... ٣٤
ما لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم من قومه: ٣٤
- آل ياسر: ٣٥

- سمية أم عمار: ٣٥
- عمار: ٣٦
- بلال: ٣٦
- خباب بن الأرت: ٣٧
- عثمان بن مظعون: ٣٧
التخويف والتهديد..... ٣٩
الطعن في عرضه ..... ٤١
الإغراء بالمال والجاه ..... ٤٨
قصة عبد الله بن حذافة: ٤٨
كيف انتصر الأخيار؟..... ٥٠
أولاً: عشق الحقيقة: ٥٠
نماذج لأولئك الأبطال: ٥١
١- زيد بن عمرو بن نفيل: ٥١
٢- سلمان الفارسي ا: ٥٢
٣- آسية بنت مزاحم: ٥٦
٤- الإمام المجتهد محمد بن إبراهيم الوزير (٧٧٥-٨٤٠هـ): ٥٦
ثانياً: الانجذاب للقرآن: ٥٧
قصة عمر: ٥٧
قصة الطفيل بن عمرو الدوسي: ٥٨
ثالثاً: الاستعداد للمجاهدة والتضحية من أجل الحق الذي يحملونه: ٥٩

رابعاً: القلب السليم: ٦٠
خامساً: عدم الاستماع لوساوس الشيطان: ٦١
سادساً: مغالبة الفتن: ٦٢
سابعاً: الأنس بالله وعدم الاستيحاش من غربة أهل الخير والصلاح وقلتهم: ٦٥
الصـــبـــر..... ٦٧
الصبر في القرآن الكريم: ٦٨
سنة الابتلاء في الحياة الدنيا: ٧٠
المؤمن مبتلى: ٧٠
أقسام الصبر: ٧١
مما يعين على الصبر: ٧٣
الصبر في السنة: ٧٤
من أقوالهم في الصبر: ٧٥
أشد الناس بلاءً: ٧٦
الهداية والصبر: ٨٠
أما لك في هؤلاء أسوة؟..... ٨٣
خمس بشائر للمكروب: ٨٤
أمور ينبغي مراعاتها في الصبر: ٨٤
وصـــــايـــــــا..... ٨٩
الوصية الأولى: (شكر الله على نعمة الهداية): ٨٩
الوصية الثانية: (الإخلاص): ٩٠

الوصية الثالثة: (التأني والحكمة): ٩٠

الوصية الرابعة: (التمسك بخطوات النجاة): ٩١

أولاً: الإيمان: ٩١

ثانياً: الأعمال الصالحات: ٩٣

ثالثاً: التواصي بالحق: ٩٣

رابعاً: التواصي بالصبر: ٩٣

نصيحة: ٩٤

خـــــــاتمــــــــــــــــــة ............................................................... ٩٥

والمـــــــــــــــــــوعـــــــــــــد الجــــــنـــــــــة ................................ ٩٥

فهرس المحتويات ......................................................................... ١٠٢

* * *